السرد في اجتماعيات أحمد محرم

د. الشيماء أحمد السيد الشمسي

دكتوراه الفلسفة في الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها
تخصص "الدراسات الأدبية والنقدية" كلية الآداب جامعة الإسكندرية

الملخّص:

تميز النص الشعري المعاصر بظواهر وخصائص فنية جعلته يتميز عما سبقه، ولكنه لم ينسلخ عن أصالته، فقد اقترض من الأنماط الخطابية الأخرى بعض سماتها الفنية، واستغلها لتكون معينًا له في حركة التجديد، فقد جنحت بعض التجارب الشعرية في العصر الحديث إلى تطعيم القصائد الشعرية ببنية سردية، من حوادث وشخصيات وزمان ومكان وغيرها.محاولة منها في التوسع الأفقي والدلالي للنص، محافظة على الخصائص الفنيةللشعر العربي من إيقاع وصور وموسيقى وأخيلة وبنية.

ويعد أحمد محرم أحد شعراء العصر الحديث الذين طرقوا باب السرد الشعري، فجاء موضوع بحثي هذا تحت عنوان (السرد في اجتماعيات أحمد محرم). هدفت الدراسة إلى إجلاء عناصر السرد القصصي في شعره في ضوء ما كتبه من شعراجتماعي، لوضوح الجانب السردي وبروز أكثر من تقنية سردية في شعره الاجتماعي، وبناءً عليه اقتربت أكثر من هذه الأشعار لتعرف على البنية السردية، وما أضافته من جماليات في هذه الأبيات، مع محاولة تقيم ما أضافته، هل كان لصالح الموضوع أم لا ؟، مستخدمًا المنهج التحليلي لتحليل للنصوص الشعرية لملاءمته لموضوع البحث.

جاء البحث في تمهيد وخمسة مباحث، التمهيد: لمحة عن حياة الشاعر، مفهوم السرد والشعر وتداخلهما في النقد العربي. المبحث الأول: الحدث. المبحث الثاني: الشخصيات. المبحث الثالث: المكان. المبحث الرابع: الزمان. المبحث الخامس: اللغة والأسلوب. وخاتمة تحتوي على أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحيّة:

الأنماط الخطابية، حركة التجديد، التجارب الشعرية،الخصائص الفنية، السرد الشعري، عناصر السرد، المنهج التحليلي.

Narration in Ahmad Muharram's Social Poetry

Dr. Al-Shaimaa Ahmed Al-Sayed Al-Shamsi
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Arts, Alexandria University

Abstract:

Contemporary poetry has certain artistic characteristics that made it different from previous poetry. Yet, it has its own originality as it borrowed some technical features from other rhetorical patterns, and used them in the movement of renewal. Some poetic experiments the modern era include a narrative structure such as events, characters, time, place etc in an attempt to expand the scope and semantics of the text, preserving at the same time the artistic characteristics of Arabic poetry such as rhythm, figures of speech, music, imagery and structure.

Ahmad Muharram is one of the modern poets who wrote narrative poetry. The main aim of this paper, entitle "Narration in Ahmad Muharram's Social Poetry," is to examine narrative elements in his poetry in light of what he wrote as social poetry which involves the use of more than one narrative technique. Thus Muharram's social poetry is examined to reveal the narrative structure and its effect on the aesthetics of the poem. The paper attempts to evaluate the narrative structure and determine whether it is in favor of the subject or not, using an analytical approach to study poetry. The paper is divided into:
Introduction: It provides a glimpse of the life of the poet the concepts of narration and poetry and their interplay in Arab criticism.
Section I. Action, Section II. Characters, Section III. Place, Section IV. Time, Section V. Language and style,Conclusion: It presents the most important findings of the paper.

Keywords:
Rhetoric patterns, movement of renewal, poetic expermints, artistic characteristics, poetic narrative, narrative elements, analytical approach.

مقدمة:

تميز النص الشعري المعاصر بظواهر وخصائص فنية جعلته يختلف عما سبقه، لكنه لم ينسلخ عن أصالته، ولم ينقطع عن جذوره، فقد اقترض من الأنماط الخطابية الأخرى بعض سماتها الفنية، واستغلها لتكون معينًا له في حركة التجديد، فقد لجأ بعض "الشعراء المحدثين الذين جاءوا بعد جيل الرواد إلى الإفادة من بعض عناصر هذه الفنون ومعطياتها، وتوظيفها في قصائدهم، ويمكن أن نجسد هذا المنهج في مرحلة النضج الشعري للقصيدة الجديدة التي بدأت في الستينات من القرن الماضي، لقد حاول هؤلاء الشعراء بناء قصيدة ذات سمات وملامح قصصية وسردية وحوارية ودرامية من خلال محاور متعددة، وهيئات مختلفة وبنيات متنوعة، تسهم جميعها في إغناء القصيدة وتسير بها إلى النضج والتكامل والوضوح في الرؤيا والأدوات والمعاني والصياغات وترجيح النزعة الدرامية والجوهر الحواري لزيادة الحساسية الجمالية والشعرية التي تتضافر مع البنيات الأخرى في القصيدة، لقد كانت عملية انفتاح الأجناس والأنواع الأدبية بعضها علي بعض، ورفع الحواجز والعزلة والحدود بينهما مؤشرًا على عملية تحدث وتجديد مسألة الأنواع والأجناس الأدبية ونصوصها النثرية والشعرية قد أتاحت لمنظري الأدب ودارسيه منذ أفلاطون وأرسطو والنقاد العرب القدامى إلى الوقت الحاضر توليد أنواع جديدة من هذه الأنواع، وتعميق الأصناف والاتجاهات والموضوعات والتنوعات الشعرية السائدة ضمن

الرؤيـة الحديثـة التـي تفيـد مـن هـذه الأنـواع الأدبيـة كالقصـة والروايـة"[1]، فقـد جنحـت بعـض التجـارب الشـعرية فـي العصـر الحـديث إلـى تطعـيم القصـائد الشـعرية ببنيـة سـردية، محاولـة منهـا فـي التوسـع الأفقـي والـدلالي للـنص، محافظـة علـى الخصـائص الفنيـة للشـعر العربـي مـن إيقـاع وصـور وموسـيقي وأخيلـة وبنيـة، فهـي عنـد تطعـيم القصـيدة ببنيـة سـردية معينـة تحـافظ علـي النظـام الشـعري للقصـيدة، مـع الميـل إلـى تحميـل القصـيدة بـبعض عناصـر السـرد المختلفـة مـن الحـوادث والشخصـيات والزمـان والمكـان وغيرهـا مـن العناصـر التـي تحقـق للشـاعر الوصـول إلـى أعلي درجات الإبداع الفني .

ويعـد أحمـد محـرم أحـد شـعراء العصـر الحـديث الـذين طرقـوا بـاب السـرد الشـعري ، لـذلك جـاء بحثـي هـذا تحـت عنـوان **(السـرد فـي اجتماعيـات أحمـد محـرم)**، فمـن يطـالع ديـون محـرم يـرى عناصـر السـرد القصصـي فـي شـعره واضـحة علـى اخـتلاف أغراضـه وتنوعهـا، لـذلك تهـدف هـذه الدراسـة إلـى إجـلاء عناصـر السـرد القصصـي فـي شـعر ذلـك الشـاعر فـي ضـوء مـا كتبـه مـن شـعر اجتمـاعي، لوضـوح الجانـب السـردي وبـروز أكثـر مـن تقنيـة سـردية فـي شـعره الاجتمـاعي، وبنـاءً عليـه سـوف أقتـرب أكثـر مـن هـذه الأشـعار للتعـرف علـى البنيـة السـردية، ومـا أضـافته مـن جماليـات فـي هـذه الأبيـات ، مـع محاولـة تقـيم مـا أضـافته، هـل كـان لصـالح الموضـوع أم لا؟، مسـتخدمًا المـنهج التحليلـي لتحليـل للنصـوص الشعرية لملاءمته لموضوع البحث.

[1]- انظر: قراءة في تجربة الشاعر عبد العزيز المقالح الملامح السردية في شعره، محمود جابر عباس، عالم الفكر، مج٣٢ أكتوبر ديسمبر٢٠٠٣، ع٢، ص٤١-٤٣ .

الدراســـات الســـابقة: مــن الملاحــظ أن هنــاك دراســاتٍ تتصــل بالموضــوع فــي أحــد شِــقيه إمــا فــي دراســة البنيــة السّــردية فــي الــنص الشـعري عامـة، وإمـا فـي دراسـة شـعر أحمـد محـرم نفسـه، ولكنهـا لـم تلتفـت إلى دراسة عناصر السّرد القصصي في شِعره[١].

وقــد اقتضــت الدراســة أن يــأتي البحــث فــي تمهيــد وخمســة مباحــث، التمهيـد: وفيـه لمحـة عـن حيـاة الشـاعر، مفهـوم السـرد والشـعر وتـداخلهما فــي النقــد العربــي. المبحــث الأول: الحــدث، المبحــث الثــاني: الشخصــيات، المبحــث الثالــث: المكــان، المبحــث الرابــع: الزمــان، المبحــث الخــامس: اللغة والأسلوب. وخاتمة: وتحتوي على أهم نتائج البحث.

(١) لمحة عن الشاعر:

هــو أحمــد محــرم بــن حســن بــن عبــد الله، ولــد فــي محــرم ســنة ١٢٤٩هـ، لهـذا سـمي"أحمد محـرم"[٢]، نشـأ محـرم نشـأة ثقافيـة وعلميـة

---

[١]- يراجع على سبيل المثال: التعبير عن الذات في شعر أحمد محرم، شريف عادل علي محمد، رسـالة ماجسـتير، كليـة الآداب، جامعـة الإسـكندرية،٢٠١٤. التيـار الإسـلامي فـي شـعر أحمـد محرم،أمل إسماعيل السيد عتمان، ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس٢٠٠٠. الملاحم في الأدب العربي الحديث في مصر ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم نموذجًا، لبني عبد العزيز محمد عبدالله الهواري، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٧، شعر أحمد محرم دراسة دلالية، محمد السيد أحمد سعيد، ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧. البنية السردية فـي الـنص الشـعري، محمـد زيـدان، القـاهرة، الهيئـة العامـة لقصـور الثقافـة٢٠٠٤. سـردية الـنص الشعري، علي جعفر العلاق، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مج٢٨، ع١، ٢٠٠٠.

[٢]- انظر أحمد محرم حياتـه وشـعره فـي: الأعـلام الشرقية فـي المائـة الرابعـة عشـر الهجريـة، زكـي مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، الطبعـة الثانيـة، الجزءالرابـع، ص٢٢. أحمـد محـرم دراسـة فـي حياتـه وشـعره، مصـطفى محمـد الفـار، منشـورات أمانـة عمـان الكبـرى، عمـان، ٢٠٠٨،

نجد له رسالة بعثها إلى صديقه الأستاذ حسنين محمود حسنين يخبره فيها عن هذه النشأة وعن والده فيقول: "وُلدت من أب تركي، كان – رحمه الله – شديد الشغف باللغة العربية، وبالشعر خاصة، وحدث أن انقطعت عن الدراسة لأسباب خاصة فأحالني والدي على مكتبته التي كانت حافلة بشتى أنواع الكتب الأدبية والعلمية ثم وجهني توجيهًا شديدًا للشعر وجعل لي جائزة على نظمه، وكُنت مُستعدًا بطبعي لهذا الفن فأقبلت عليه بكليتي وشاء الله أن أكون من رجاله"[1] .

كان لهذه التربية الدينية الصارمة اتجاه واضح في شعره وأدبه من إشادته بمجد الإسلام، ودفاعه عنه، وتسجيله لحياة النبي "صلى الله عليه وسلم" وحروبه– تسجيلاً لم يضطلع به شاعر سواه في عصره. كان والد محرم رجلاً محبًا للقراءة شغوفًا بالأدب مصاحبًا لأهله من شعراء وكتّاب، يحضر مجالسهم ويشاركهم فيها فأورث ابنه هذه النزعة ونمى فيه حب الكتب والتطلع إلى الكتابة في سن مبكرة، فلم تكد شاعرية محرم تعلن عن نفسها؛ حتى طار ذكره على الألسنة وهو في مقتبل العمر، وملئت الصحف والمجلات بقصائده المبدعة، وعرف الشعراء والأدباء منزلته فتتابعت بينه وبينهم المراسلات .

ص٧١ وما بعدها. إقليم البحيرة، محمد محمود زيتون، طبعة دار المعارف، ١٩٦٢، ص٥٧٤ وما بعدها. شاعر العروبة والإسلام، أحمد محرم، محمد إبراهيم الجيوشي، دار العروبة، ١٩٦١، ص٢١–٤٣. معجم الأعلام، خير الدين الزركلي،دار العلم للملاين،بيروت، ٢٠٠٢، الطبعةالخامسة عشر،الجزء الأول، ص٢٠٢. معجم المؤلفين، رضا عمر كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص٥٧. مشاهير شعراء العصر الأقطار العربية الثلاثة (مصر وسوريا والعراق)،أحمد عبيد، مطبعة الترقي، دمشق١٩٢٢،ط١، القسم الأول، ص١١٧.

[1]– رسائل محرم، أحمد محرم، تحقيق حسنين محمود حسنين، ط١، دار النشر للجميع، ص٢٢.

وقد احتل محرم الريادة في سن مبكرة خاصة في الشعر والنقد وذلك بفضل إلمامه بالأدب العربي ، ووقوفه على دقائقه ومعرفته باتجاهاته في عصوره المختلفة ، ونلمس هذه الحقيقة واضحةً حينما نقرأ مقالاته التي نشرها في مجلة "أنيس الجليس"[١] تحت عنوان الشعر العصري. وسارت الحياة بمحرم سيرة قلقة مجحفة فلم تلن قناته ولم يتخل عن مُثُلِه، أو يتنكر لمبادئه، بل ظل وفيًا لها حفيظًا عليها حتى لقي ربه، في يوم الأربعاء ١٣ من يونيو سنة ١٩٤٥م .

خلَّف محرم تراثًا شعريًا ضخمًا ما بين مخطوطٍ ومطبوعٍ أما على مستوى الشعر فظهر له الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨م والجزء الثاني١٩٢٠م وضمها إلى سابقتها مما ظهر في الديوان الأول بجزئية ؛ ليخرج لنا ديوانًا كاملًا عام ١٩٨٤م وهو من خمسة أجزاء يقع في الأول منهم أشعاره التي كتبها في السياسات وهى في مجلدين، والجزء الثاني في الاجتماعيات والمراثي، والجزء الثالث في التأملات والخواطر، والجزء الرابع في الإخوانيات والتهاني والمساجلات والمطارحات، ثم الجزء الخامس والأخير وهو في الطبيعة والوصف والغزل والحب. وترك أيضًا "ديوان مجد الإسلام" وهو مخطوط من أربعة أجزاء من القطع الكبير سجل فيها حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأشهر غزواته وسراياه في قرابة خمسة آلاف ومائتي بيت، وظل محرم يقول الشعر من سنة ١٩٢٠م حتى سنة ١٩٤٥م في كل فن ويتابع الصحف والمجلات طوال هذه الفترة، ويوجد عند أبنائه الكثير من أشعاره بخط الشاعر نفسه. وله فوق ذلك آثاره النقدية والتي منها: نقده لإسماعيل صبري وشعره في ١٠٨ صفحة من مجلة "أبوللو" عدد أكتوبر سنة ١٩٣٤م، ونقده لحافظ

[١]– السنة الثالثة١٩٠٠،الأجزاء١١،١٠،٩،٨،٧،٦،٥،٤،٣،٢،١،السنة الرابعة١٩٠١، الأجزاء٦،٥.

إبراهيم، ونقده للسيد توفيق البكر، ونقده لأحمد زكي أبو شادي في ديوان الشعلة، وبحثه في [الشعر الباكي في الأدب العربي]، وبحثه في [شعر الهجاء]، وغير ذلك الكثير من المقالات والفصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع[١] .

أما عن شعر محرم الاجتماعي فقد تميز بعميق إيمانه بدور الشعر في هداية البشرية إلى الطريق الصحيح، ودفع عجلة التقدم والازدهار في المجتمع، لذلك دعا هذا الشاعر لإيقاظ الشعور الديني في المجتمع، إيمانًا منه بأن إصلاح المجتمع نابع من الإصلاح الديني. ومن ذلك قوله في قصيدة "إني إلى الله رَاغِب":

غَوَيْنا ، فلا الدّاعي إلى الخيرِ بيننا يُعانُ ، ولا الدّاعي إلى الشّرَّ يُخْذَلُ
أَلا رُبَّ هادٍ مُرشِدٍ خَابَ سَعيُه وقد كان عَهدِي أن يخيبَ المُضَلَّلُ
أيا قَوْمَنا ، والنّفسُ جَمٌّ عَناؤُها أَما فيكمو مِن ذِي رَشادٍ فَيعقِلُ؟
أَلمّا يَئِنْ أن تُبصروها مَحَجَّةً هي الحقُّ ما عنها لذي الحقّ مَعْدِلُ؟[٢]

وقد اهتم محرم بعددٍ من المشاكل الاجتماعية في عصره وطرح حلول لها من خلال شعره، مثل محاربة الجهل[٣]، سوء توزيع الثروة[٤]، مشكلة الفقر والغنى[٥]،الرشوة[٦]،الإكراه على الزواج[٧]،الوصي الخائن[١]، الربا[٢]،

١- انظر: شاعر العروبة والإسلام ، ص٤٨ وما بعدها .

٢- ديوان محرم ، أحمد محرم ، تحقيق محمود أحمد محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٨، الجزء الثاني ، ص١٠٣ .

٣- انظر : قصيدته بعنوان (حُنوُّ الجَاهِل)، ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ٤٦ .

٤- انظر: قصيدته بعنوان(الحُقوق الضّائِعَة)،المرجع السابق،الجزء الثاني،ص١٦٧.

٥- انظر: قصيدته بعنوان (الغني والفقر)، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص١٥٧.

٦- انظر: قصيدته بعنوان (الرشوة)، المرجع السابق، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤ .

٧- انظر: قصيدته بعنوان (الإكراه في الزواج)،المرجع السابق،الجزء الثاني،ص٨١.

اللقيط[٣]،الخمر والميسر[٤]، وغيرها من القضايا الاجتماعية التي شغلت محرم، وهو في كل ذلك يكشف عن مساوئ تلك المشاكل الاجتماعية ويحذر من نتائجها الضارّة. وسوف يقع بحثي ويكون محل التطبيق من هذه القصائد على اثنى عشر قصيدة التي رأيتُ توافر عنصر السردية فيها، وهي: قصيدة "حنو الجهل"[٥]، وعدد أبياتها أربعة وثلاثون بيتًا قالها سنة١٩٠٠م، ومطلعها:

كــلا وَلَــديَّ لِلعَيْنَــيْنِ قُــرَّهْ ومـالِي دُونَ قُربِهمـا مَسَرَّهْ

قصيدة "الفَاقة المسْتورَةُ وَالعَدْلُ المخذُوع"[٦]، وعدد أبياتها تسعة وأربعون بيتًا، والتي قالها سنة ١٩٠٢م، ومطلعها :

ذَهبتْ (خَدِيجةُ) بَعدَ فُرقةِ بَعلِها تَبْغِي المعاش(لِزَيْنَبٍ)و(سُرورِ)

قصيدة "أرجوزَة مُحرَّم"[٧]، وعدد أبياتها مائة وأربع وسبعون بيتًا، والتي قالها سنة ١٩٠٢م، ومطلعها:

حــوادثُ الأيَــام تــأتي بالعجَــبْ وكلُّ شيءٍ راجعٌ إلى سَببْ

قصيدة "الإكراه في الزوَاج"[٨]، وعدد أبياتها ستة وأربعون بيتًا، والتي قالها سنة ١٩٠٢م، ومطلعها :

---

[١] – انظر :قصيدته بعنوان (الوصي الخائن)،المرجع السابق،الجزء الثاني،ص١٢٩.

[٢]– انظر : قصيدته بعنوان (الربا) ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص٢٠٣ .

[٣]– انظر : قصيدته بعنوان (اللقيط) ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٣ .

[٤]– انظر : قصيدته بعنوان (الخمر) ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٤ .

[٥]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٦ .

[٦]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٥٧ .

[٧]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٦٤.

[٨]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص٨١ .

شُـــــغِفَتْ هِنـــــدٌ بِسَـــــعْدٍ إذ رأتـــــــهُ ورآهـــــــا

قصيدة "شهيد العفاف"[١]، وعدد أبياتها خمسة عشر بيتًا، والتي قالها سنة ١٩٠٣م، ومطلعها:

هكـذا يَحفـظُ الكـريمُ الـذِّماما ويرى الغَدْرَ بالرَّفيقِ حَراما

قصيدة"اللقيط"[٢]،وعدد أبياتها ستةوأربعون بيتًا،قالها سنة١٩٠٣م، ومطلعها:

مـــا للفِتـــاةِ تُـــذِيبُها الحســـراتُ وتَفيضُ مِلءَ جُفونِها العَبَراتُ؟

قصيدة"قضية الشيخ"[٣]،وعدد أبياتها أحدعشر بيتًا،قالهاسنة١٩٠٤،ومطلعها:

ظلامـــةُ الشَّـــيخِ لنـــا واضِـــحَهْ والعـدلُ مـا قَـرّرهُ البارِحَـهْ

قصيدة "مِنْ جنايَات الآبـاَء"[٤]، وعدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتًا ، والتي قالها سنة ١٩٠٧، ومطلعها:

أَرادَ اللهُ بـــــالأقوامِ خيـــــرًا فكان مُرادُهم شرًّا وشُوما

قصيدة "بُولس وَفرجيني"[٥]، وعدد أبياتها خمسة وستون بيتًا، والتي قالها سنة ١٩٠٨م، ومطلعها :

كُلُّ النُّفوسِ إلـى السّعادةِ تَنزعُ فَمُوفَّقٌ يُعطَي، وآخرُ يُمْنَعُ

قصيدة "الفلاح"[٦]، وعدد أبياتها سبعة أبيات، قالها سنة١٩٢٨م، ومطلعها:

أن الفـــلاّحُ أَسْـــعَى فـــي سَـــبِيلي سَـــعْ مُجتَهِـــدِ

١- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٥ .

٢- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٣ .

٣- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٩.

٤- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص١١١ .

٥- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص١١٧ .

٦- انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢١٤.

قصيدة "إِبْنَةُ الفَلاَّحِ"[١]،وعدد أبياتها خمسةأبيات، والتي قالها سنة١٩٢٨م،ومطلعها:

أنا التي لولا أبي ضَاعتْ كنوزُ الذّهبِ

قصيدة "الفتاة حين تتزوّج"[٢]، وعدد أبياتها سبعة أبيات، والتي قالها سنة ١٩٢٨م، ومطلعها:

البَيْتُ بَيْتي ، وأنا فيهِ العِمادُ والسَّنَدْ

(٢) السرد والشعر:

السرد في اللغة يُعني "تَقْدِمَةُ شَيْء إلى شَيْء تأتي به مُتسقًا بَعْضُهُ في إثر بَعْضٍ مُتَتابعًا، ويقال سرد الحديث ونحوه يَسْرُدُ إذا تابَعَهُ، فلان يسردُ الحديث سردًا إذا جيد السياق له، وسرد القرآن أي تابع قراءته"[٣]، يشير صاحب اللسان هنا إلى التتابع والاتساق والقدرة على السبك والمهارة، وهذا ما يفيد معني السرد جزئيًا.

أما السرد في الدراسات النقدية الحديثة، فقد صارت حوله خلافات كثيرة، فالكلمة تطرح ازدواجية في المصطلح "فهل المقصود بالسرد (الطريقة) أي فعل السرد ذاته مرتبطًا بسارد؟ أم المقصود (النص) المسرود الملفوظ، بوصفه كيانًا قويًا مستقلاً؟ بتعبير آخر، هل دراسة السرد تختص بالقول أم المقول؟ بالخطاب أم بالنص؟ وبعد ذلك نتساءل: هل المقصود بالسرد: الأخبار (Telling) المقابل للغرض؟ أم

---

[١]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢١٤ .

[٢]– انظر : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢١٥ .

[٣]– لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، الجزء الثالث، ص ١٩٨٧ .

أن المقصود بالسرد الخطاب (Discoure) أي: القول الذي يستحضر عالما خياليا مكونا من أشخاص وأفعال وأزمنة وأمكنة، وحينئذ يشملها جميعًا؟ وهل يكون السرد بذلك مقابلاً للحكاية؟ أم يكون مقابلاً للحكي"[١] .

فالسرد هو الطريقة، وهذا ما ذهب إليه تودروف في مفهوم السرد، حيث قال: إن المهم عند مستوي السرد ليس ما يروي من الأحداث، بل المهم هو طريق الراوي في اطلاعنا عليها[٢]، فالسرد إذن هو خطاب السارد وحواره إلي من يسرد له داخل النص، ومن ثم فالقصة والسرد لا يوجدان في نظرنا إلا بواسطة الحكاية "[٣]. ولهذا فإن السرد "مصطلح أدبي فني وهو الحكي أو القص المباشر من طرف الكاتب أو الشخصية في الإنتاج الفني يهدف إلى تصوير الظروف التفصيلية للأحداث والأزمات ويُعني كذلك برواية أخبار تمت بصلة للواقع أو لا تمت"[٤]. وبهذا فإن المصطلح السردي أقرب إلى الحكي ورواية الاخبار بطريقة متماسكة متشابكة الأحداث والشخصيات.

---

[١]– السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله) نموذجًا، عبد الرحيم الكردي، تقديم طه وادي، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٢، ص٧–٨ .

[٢]– دليل الدراسات الأسلوبية،جوزيف ميشال،المؤسسةالجامعية للدراسات والنشروالتوزيع،بيروت،١٩٨٤ص ١٢٦.

[٣] – خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، جيرار جنيت، ترجمة عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم،عمر حلي الهيئةالعامة للمطابع الأميرية، ط١٩٩٧،٢،ص٤٠.

[٤]– مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد٢٠٠٤–٢٠٠٣، مولاي على بوخاتم، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق٢٠٠٥ ص٢٤٩ (نقلا عن كتاب) سردية الشعر وشعرية السرد "دراسة في تداخل الأنواع الأدبية"، طارق عبد المجيد، دار النابغ للنشر والتوزيع، طنطا، ط١، ٢٠١٥، ص٢٥ .

أما مفهوم الشعر؛ فقد تعددت مفاهيم الشعر وتعريفاته حسب ثقافة كل عصر وذوقه، فيعرفه ابن قتيبة قائلا: "الشعر هو الكلام الموزون المقفى"[١]،وهذا التعريف ليس دقيقًا لأنه يجعل الشعر يكتسب شعريته من الوزن والقافية وهذا ليس دقيقًا،فقد يأتي الوزن في بعض الكلام العادي من غير قصد،فهل يسمى هذا شعرًا؟،أما القافية فليست ضرورية فهناك ما يسمى بالشعر الحر وقد تتحرر القصيدة فيه من القافية في بعض الأحيان تحررًا كاملًا أو جزئيًا.لذا يعد تعريف قدامة ليس دقيقًا.

كما يعتمد ابن طباطبا في تعريفه للشعر في كتابه عيار الشعر علي الموسيقي والوزن. فيقول: "الشعر – أسعد الله – كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم، بما خُص به من النظم الذي إن عُدِلَ عن جهته مَّحبتهُ الأسماعُ، وفسَد الذَّوقِ ، ونظمُه معلومٌ محدودٌ فمن صحَّ طبعُه، وذوقه، لم يحتاج إلى الاستعانةِ على نظمِ الشعر بالعَرُوضِ التي هي ميزانُه"[٢]، فهو يرى أن الجانب الموسيقي هو الذي يميز الشعر والنثر.

ثم يأتي ابن رشيق القيرواني ليفتح مجالًا أوسع في مفهوم الشعر فيقول: "إنما سمي الشاعر شاعرًا، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليدُ معني ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما

[١] –نقد الشعر،قدامةبن جعفر،تحقيق محمدعبدالمنعم خفاجي،دارالكتب العلمية،بيروت،لبنان ص٦٤.

[٢] –عيارالشعر،محمد ابن طباطبا العلوي،تحقيق محمدزغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣ ص٤١.

أطالـه سواه مـن الألفـاظ ، أو صـرف معنـي إلـى وجـه عـن وجـه آخـر؛ كـان اسـم الشـاعر عليـه مجـازًا لا حقيقـة، ولـم يكـن لـه إلا فضـل الـوزن"[١]. فالشـاعر الحقيقـي عنـد ابـن رشـيق مـن امتلـك أدواتـه بوعيـه وثقافتـه فكـان لـه القـدرة علـى اختـراع اللفـظ والمعنـى الجديـد، وهنـا يجعـل الفـرق بـين الشـعر والنثـر قـائم علـى التشـكيل البنيـوي لا علـى المكـون الجمـالي وهـو الـوزن والقافيـة، "وقـال الجُمَحِـي: وللشـعر صـناعة وثقافـة يعرفهـا أهـل العلـم كسـائر أصـناف العلـم والصـناعات: منهـا مـا تثقفـه العـين، ومنهـا مـا تثقفـه الأذن، ومنهـا مـا تثقفـه اليـد، ومنهـا مـا يثقفـه اللسـان،من ذلـك اللؤلـؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن"[٢].

ويعرفـه ابـن خلـدون قـائلًا: "هـو كـلام يُفَصَّـلُ قِطعًـا قِطَعًـا متسـاوية فـي الـوزن، متحـدة فـي الحـروف الأخيـرة مـن كـل بيـت، ولـيس كـل وزن اتفـق فـي الطبـع يسـتعملونه فـي هـذا الفـن، وإنمـا هـي أوزان مخصوصـة حصـرها الخليـل وغيـره، ولـم يجـدوا العـرب فـي غيرهـا نظمًـا، وتسـمي كـل قطعـة مـن هـذه القطعـات عنـدهم "بيتًـا" ويُسـمي الحـرفُ الأخيـر الـذي تتفـق فيـه "رويـا" و"قافية".

وتنفـرد كـل قطعـة منـه بإفادتهـا وأسـلوبها، حتـى كأنهـا كلمـة واحـدة مسـتقلة، فيسـتغنى عمـا قبلـه وعمـا بعـده. وإذا انفـردت كـان تامًـا فـي بابـه، مـن مـدْح أو نَسِـيب أو رثـاء، فيحـرص الشـاعر علـي إعطـاءه تلـك القطعـة مـا يسـتقل بهـا فـي إفادتهـا، ثـم يسـتأنف فـي البيـت الآخـر كلامًـا آخـر كـذلك. ولـذلك كـان شـريفًا عنـد العـرب، وجعلـوه ديـوان علـومهم وأخبـارهم،

---

[١] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥ ،١٩٨١،ج١،ص ١١٦ .

[٢] – المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١١٨

وشاهِدُ صوابهم وخطئِهم، وأصلًا يرجعون إليه في كثير من علومهم وحِكَمِهم"[١].

يحدد ابن خلدون الشعر إذن على أنه كلام قائم على وزن مخصوص له قواعد محددة معروفة وأغراض مشهورة، كما يرى أن الشعر لا يقوم إلا على أساس وحدة البيت. ويضيف ابن سينا عنصرًا يميز به الشعر عن غيره وهو الخيال، فيقول: "الشعر هو كلام مُخَيِّل مؤلف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مُقَفًّاه. ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي. ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفًا من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر"[٢]، ويرى أن "المقدمات الشعرية: هي المقدمات التي من شأنها، إذا قبلت، أن توقع للنفس تخيّلاً، لا تصديقًا، والتخيل: هو انفعال من تعجب، أو تعظيم، أو تهوين أو تصغير، من غير أن يكون الغرض بالمَقُول إيقاع اعتقاد ألبته، وهذه المقدمات ليس من شرطها أن تكون صادقة، ولا كاذبة، ولا ذائعة ولا شنعة، بل أن تكون مخيلة"[٣]، إن ما أضافه ابن سينا يعد من أهم أسس الشعر ومقوماته هو كلام موزون قائم على الخيال وبدون الخيال لا يكون شعرًا.

---

[١] – المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، حققها عبدالسلام الشدادي،الدارالبيضاء،ط١،٢٠٠٥،ص٣٢٦.

[٢] – فن الشعر، ارسطوطاليس، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي،دار الثقافة، بيروت،لبنان،١٩٧٣, ص١٦١.

[٣] – كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر، ابن سينا، شرح وتحقيق محمد سليم سالم، دار الكتب ، ١٩٦٩ ، ص ١٥– ١٦ .

اكتسب النص الشعري المعاصر أبعادًا جديدة، نتيجة لوعيه بمفهوم الأدبية الشعرية، وانفتاحه على الفنون الأخرى محاولًا الاستفادة منها ومفيدًا إليها، "فلم تعد القصيدة التي يكتبها مجرد أداة لازجاء وقت الفراغ أو تصوير المشاعر والأحاسيس، بل أصبحت القصيدة وحدة في بنية متكاملة تمثل حياته ومغامراته الإنسانية في سبيل استكشاف الحقيقة أو مجموعة الحقائق الجوهرية "[١].

فمن خلال اختلاط النص الشعري مع غيره من الأنواع الأدبية الأخرى تبلور تعدد البنية النصية " وأخذت التقنيات السردية تمارس حضورها وحركتها في بنية النص تلك التقنيات التي تماهت في الشعر وفي بذوره الجينية مؤكدًا طبيعة الإنسان ورغبته في الحكي والسرد ليكشف عن وجوده(تكلم حتي أراك)، فأخذت الآليات السردية بمفهومها الحديث طريقها إلي النص الشعري وأصبحت واحدة من جمالياته الجديدة التي يتكئ عليها، مؤكد وحدة الأنواع وتجاذبها وتحاورها"[٢].

ويقول Jenny Lauren: إن كل نص شعرى هو حكاية أي رسالة تحكي صيرورة ذات[٣]، فعلاقة النص الشعري بالحكاية علاقة قديمة نسبية، وقد التفت إليها النقد العربي الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى حضور السرد في الشعر، ومدي ارتباط هذا الحضور بشعر

---

[١]– الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ص٢٨٢ – ٢٨٣.

[٢]– أليات السرد في الشعر المعاصر، عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ ص١٠

[٣] – تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٩ .

الحماسة والأراجيز، بوصفها وعاءين قادرين علي احتواء هذه النزعة السردية[١].

والمتأمل في حركة الحياة العربية في الجاهلية يكتشف سمات سردية في النص الشعري، فيورد ابن طباطبا العلوي في كتابه "عيار الشعر" إشارات تتصل بالمستويات الفنية الخاصة بالشعر يكشف من خلالها عناصر سردية. فيقول " وعلى الشاعر إذا اضطُرَّ إلى اقتصاص خبر في شعره دبرهُ تدْبيرًا يسلُس له معهُ القول، ويطَّردُ فيه المعنى، فيبنَي شِعرَهُ على وزن يَحتملُ أن يُحشى بما يحتاجُ إلى اقتصاصِه بزيادة من الكلام يُخلط به، أو نقصٍ يُحذف منه، وتكون الزيادةُ والنقصان يَسِيريْن غيرَ مُخَدَّ جَيْنِ، لما يستعان فيه بهما، وتكون الألفاظُ المزيدةُ غيرَ خارجةٍ من جنسِ ما يقْتَضِيه، بل تكونُ مُؤيِّدة له وزائدةً في رَوْنَقِه وحُسْنِه"[٢].

ويتخذ ابن طباطبا من رائية الأعشى في مدح شيخ بن حصن بن عمران بن السموأل بن عادياء:

كن كالسَّموأَلِ إذْ طافَ الهُمامُ به في جَحْفلٍ كزُهاء الليَّل جَرارِ[٣]

التي سرد فيها خبر أمانة السموأل بدروع أمرئ القيس، نموذجًا لامتزاج السرد بالشعر علي الوجة الأمثل[٤] .

---

[١]– انظر:ما لا تؤديه الصفة،حاتم الصكر،دارالكتابات،بيروت١٩٩٣،ص٧٢–٧٣.

[٢] – عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي ، ص ٨٤ .

[٣] – ديوان الأعشى الأكبر، ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية ، ص ١٣٩ .

[٤] – انظر: عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ص٨٥ .

ويشير صلاح فضل إلى رؤية ابن طباطبا التي تؤكد إلى تقبل فكرة إمكانية التوفيق بين الشعر والسرد وإمكانية التداخل بينهما. فيقول "إن هذه أوضح إشارة في النقد والبلاغة العربية للسرد الشعري"[١] .

وقد تحدث ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة عن طبيعة بناء القصيدة علي الحكاية. فيقول "ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيًا بعضه علي بعض، وأنا استحسن أن يكون كل بيت قائمًا بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلا في مواضع معروفة، مثل الحكايات وما شاكلها، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هناك من جهة السَّرْدِ"[٢]. فطبيعة الأسلوب القصصي تحتاج إلى ترابط دلالي وتلاحم واتصال للأبيات بما يلائم عملية الحكي ذاتها.

ومنذ مطلع القرن العشرين أخذ الشعر العربي يتطور "تطورًا ملحوظا نحو المنهج الدرامي ولست أعني بذلك كتابةأعمال دراميةشعرية كمسرحيات شوقي مثلًا، فالمسرحية عمل درامي بالضرورة سواء أكتب شعرًا أم نثرًا، وإنما أعني تطور القصيدة العربية ذاتها من الغنائية الصرف ومن خاصية التجريد إلى الغنائية الفكرية التي تتمثل في القصيدة الدرامية"[٣]، فالقصيدة الحديثة تجعلنا ننظر إلى النوع الشعري على أنه نوع أدبي متكامل تتداخل فيه الأنواع الأدبية الأخرى، حيث تتعدد الرؤي فيه فيشتمل على الدرامي أو الحكاية التي لها بداية ووسط ونهاية وعلى الشعر الذي يوجد فيه الخيال والموسيقي والصور.

---

[١] – بلاغةالخطاب وعلم النص،صلاح فضل،عالم المعرفة،الكويت١٩٩٠ص٢٥٩

[٢] – العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ج١، ص٢٦٢.

[٣]– الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص٢٨٢.

"فالعمل الشعري ذو الطابع الدرامي إنما هو بناء علي مستويين، مستوي الفن ومستوي الحياة ذاتها؛ فنحن لا نستبصر في القصيدة ذات الطابع الدرامي بمقدرة الشاعر علي بناء عمله الشعري بناء فنيًا فحسب، بل نعاين كذلك –وهذه هي القيمة الموضوعية لعمله– مدي قدرته على المشاركة في بناء الحياة وتشكيلها، وهو عمل ينظر إليه في مجمله كما ينظر إلى البناء الذي يقوم بعضه على بعض أو ترتبط أجزاؤه في إحكام"[١].

ومن ثم فالقصيدة العربية الحديثة قد شهدت تغيرًا في المفهوم والوظيفة، في الملامح والتعبير، واصبحت تلتفت إلى عناصر بنائية أخري تساهم في بلورة الشكل والمضمون، وخلق حالة من التوازن الذي يؤدي بدوره إلى ظهور الشكل القصصي الذي يمنح القصيدة مزيد من الحيوية والفاعلية.

للسرد القصصي عناصر مختلفةُ تقوم عليها بنيته السردية، فهو ينهض على طائفة من الخصائص والتقنيات والعناصر، غير أن الذي يمكن تناوله تحت هذا العنوان، هو أبرز العناصر التي تنطلق منها تقنيات السرد القصصي في الشعر الاجتماعي لأحمد محرم، وهي على التوالي، الحدث، الشخصيات، المكان، الزمان، اللغة والأسلوب.

[١]– المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

المبحث الأول: الحدث

يعد الحدث هيكلاً مهمًا في جسم القصيدة القصصية، فهو العصا التي تحرك الشخصيات على مر القصة، وتسوق الحوادث واحدة تلو الأخرى، حتى تصل إلى تلك النتيجة النهائية التي تطمئن القاري، فهو العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية (الشخصيات، المكان، الزمان، اللغة والأسلوب). ولكى يتطور هذا الحدث لابد من أن تتوفر في القصة ثلاثة عناصر مهمة وهى البداية والوسط والنهاية، وقد أطلق النقاد على البداية الموقف، وتلى ذلك المرحلة الثانية التي نسميها الوسط، وهي تنمو حتمًا وبالضرورة من الموقف أو البداية وتتطور إلى سلسلة من النقاط تمثل تعقيدًا أو تشابكًا متزايدًا بين العوامل أو القوي التي يحتويها الموقف[1]. أما المرحلة الثالثة وفيها تتجمع كل القوى التي احتواها الموقف أو البداية في نقطة واحدة يتحقق بها الاكتمال للحدث، واصطلح بعض النقاد على تسمية هذه النقطة – وهى التي تمثل نهاية الحدث – بنقطة التنوير[2]. ففي قصيدة (حُنوّ الجاهل) يبدأ الشاعر قصيدته بحكاية طفلين أراد أبوهما أن يزودهما بزاد المعرفة وينير أمامها سبيل الحياة بنور العلم، ولكن أمهما تأبى ذلك لأنها لا تقوى على فراق ولديها . فيقول :

كلا وَلَدَيَّ لِعَيْنَيْنِ قُرَّهْ وَمالِي دُونَ قُربِهما مَسَرَّهْ
فكيف تَرى اغْتِرابَهما وتَبغي رَحيلَهما لأمرٍ ما أَمَرَّهْ
رُويدًا إنّ علمًا مِثلُ جهلٍ وكم من عَالِمٍ لَقِيَ المَضرَّهْ

---

[1]– فن القصة القصيرة ، رشاد رشدي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ص١٦.

[2]– المرجع السابق ، ص ١٧– ١٨ .

ومـــا سَـــعِدَ السَّـــعيدُ بِطـــولِ كَـــدٍّ يُقَضِّـــي يَوْمَـــه فيـــهِ وشَـــهْرَهْ
فَـــدَعْ عنـــكَ المـــدارسَ إنّ قَلبِـــي يَـذُوبُ لِـذكرِها أَسَـفًا وحَسْـرَهْ [1]

فـالأم تحـاول أن تبـذل أقصـى مـا فـي وسـعها لأقنـاع الأب بعـدم ذهـاب الأولاد للتعلـيم فهـي لا تقـوي علـى فراقهمـا، وتـرى أن العلـم كالجهـل، فكـم مـن عـالمٍ لقـي مضـرة، وليسـت السـعادة بطـول الكـد والتعـب فيـه. ثـم يشـرح الشـاعر محاولـة الـزوج بإقنـاع زوجتـه بأهميـة التعلـيم وتـرك مخاوفهـا. قائلاً:

أَ(فـــاطمَ) مـــا لِرأيـــكِ لا أَراهُ سَـدِيدًا فـي الـذي تَخْشَـيْنَ شَـرَّهْ ؟
جَزَعـــتِ لِمَـــا أردتُ فَقُلـــتِ قَـــوْلًا كَرِهـــتُ هُـــراءَه ، ودَممـــتُ هَـــذْرَهْ
رَضـــيتِ الجهـــلَ دُونَ العلـــمِ خُلقًـــا وهـل كالجهـلِ فـي الـدُّنيا مَعـرّهْ ؟
وهـــل سَـــعِد السّـــعيدُ بِغَيـــرِ علـــمٍ يُعّظِـــمُ شـــأنه ، ويُـــذيعُ ذِكـــرَهْ ؟
ويَنْصُـــرهُ علـــى الأيّـــامِ مَهمـــا أرادتْ حَرْبَـــهُ فَيُعِـــزُّ نَصْـــرَهْ ؟
ويـــأمُرهُ بِإحســـانً إلـــي مَـــن بَغَـــى إحســـانَهُ ، وأرادَ بِـــرَّهْ ؟
إذا رَامَ اقْتِرافًـــــا للخَطايـــــا نَهـــاهُ مَـــرّةً ، ولَحـــاهُ مَـــرَّهْ ؟[2]

فالشـاعر يحـث زوجتـه علـى أهميـة الـتعلم ومذمـة الجهـل، فهمـا لا يسـتويان، فـالعلم يرفـع مـن شـأن صـاحبه وينصـره علـى الأيـام إذ انقلبـت عليـه، ويمنعـه مـن اقتـراف الخطايـا وينهـاه عنهـا. ثـم يتـأزم الوضـع ويبـدأ الصـراع بـين الأم والأب، فـالأم أخـذت تتشـفع لـدى الجيـران والأقـارب حتـى

[1] – ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص٤٦ .

[2] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص٤٦-٤٧ .

يرجع الأب عن عزمه، فيستجيب الأب لرغبة الأم الجاهلة لينشأ الفتيان على الجهل:

رأت إِصْرارَهُ ، فَمضتْ لِتشكو إلى جِيرانها الأدْنِينَ أَمْرَهْ
تُسِرُّ مَلامةً، وتَبثُّ أخرى وتَمْسَح عَبْرةً ، وتُفِيضُ عَبْرَهْ
يُنازِعُني الظَّلومُ سَوادَ قلبِي أَيزعُمُ أنّني اسْتَشْعَرتُ صَبْرَهْ؟
ويَخدعُنِي بِقَوْلٍ مُستطابٍ كفاني اللهُ خِدْعَتَه ومَكْرَهْ
هَلُمُّوا لا عِدِمْتكمُ إليهِ فَلُومُوهُ لِيَنْقُضَ ما أمرَّهْ
وقولوا: ما لِعقْلِكَ، ما دَهاه؟ أَمَسْحورٌ فَنَشْفِي اليومَ سِحْرَهْ؟
جَزَى الرحمنُ منكم كُلَّ حُرٍّ يُسَفِّهُ رأيَهُ، ويَرُدُّ عُذْرَهْ
فكان إذن(لِفَاطِمَ) ما أرادتْ وأصبحَ بَعْلُها في شرِّ غَمْرَه
وشَبَّ على الأذى(عَمْرٌو)و(سَعْدٌ) وشَدَّ كِلَاهما للشَّرِّ إِزْرَهْ[1]

ومن هنا نبدأ بالترقب والتساؤل عما حدث للأبوين نتيجة لاختيارهما، فيدخل صوت الشاعر فيخبرنا:

وظَلَّا يَعْكِفانِ على الدَّنايا رَفِيقَيْ غُدوةٍ فيها وبُكْرَهْ
فكم مِن آمنٍ طَلَعا عليه بِحَثْفٍ حِينَ أرخَى اللّيلُ سِتْرَهْ
وشاكٍ منهما بَكَرا إليه بِشَرٍّ تُوقِدُ البَغْضاءُ جَمْرَهْ
وقال لِأُمّهِ (عَمْرٌو) بَدا لي من الشَّنانِ ما أَخْفَيْتِ سِرَّهْ
أَطَلْتِ شَكِيَّتِي ، وأَبَيْتِ إلاّ مَلامِي ، لستِ يا أُمّاهُ بَرَّهْ
وسَاوَرها بِضَربٍ تَابعثْهُ يَداهُ ، فما أَشَدَّ الآن غَدْرَهْ
فَحُمَّ حِمامُها مِمَّا دَهاها وأَوْدَعَها ذَوُوها بَطْنَ حُفْرَهْ
و(سَعدٌ) لا جَزاهُ اللهُ خيرًا وأَشْقَى جَدَّهُ ، وأطال ذُعْرَهْ

[1]- المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٧ .

جَنـىَ مـا لـيسَ يَسـلَمُ مـن جَنـاهُ على رَجُـلٍ يُجِـلُّ النّـاسُ قَـدْرَهْ
وأَطلــقَ سَــاقَهُ خَــوْفَ انْتِقــامٍ فَطــارَ وطــارتِ الأَبصــارُ إِثْــرَهْ
نجـا ، وأتـى الغَـرِيمُ إِلـي أبيـهِ فَنـالَ بِقَتْلـهِ فـي الـدّارِ وَتْـرَهْ[1]

فـالموت والهـلاك كانـا نتيجـة لاختيـار الأم واسـتجابة الأب لرغبـة زوجتـه، فنشـأ الفتيـان علـى الجهـل والأذى فَجـري علـى والـديهما الشـرور ولا يسلمان من شرورهما، فقتل أحدهما أمه في نزوة من نزوات النفس، ويقتل الثاني أحد أبناء الأسر ويلوذ بالفرار فلا تجد الأسرة أمامها إلا الأب المنكوب فتقتله ثأرًا لقتيلها. وفي نهاية القصيدة يقدم أحمد محرم حكمة يلخص بها ما جاء في القصيدة فالجهل شؤم على صاحبه، واللبيب هو الذي يأخذ العظة والعبرة:

كـذاك الجهـلُ مَقـرونٌ بشـؤم ولا سِـيمَا إِذا صَـحِبَتْهُ قُـدْرَهْ
وحَسْبُ أخـي النُّهـىَ واللُّـبِّ مِنّـا بمـا فـي قِصَّـتِي عِظـةٌ وعِبْـرَهْ[2]

وقصيدة (الإكراه في الزواج) تمثل مجموعة من الأزمات التي تمر بها الفتاة (هند) عند إكراهها على الزواج ممن لا تحبه وترك من تحبه ويهواه قلبها، فتصير حياتها سلسلة من المآسي والآلام حتي يختلط عقلها وضوي جسدها، والتمسوا لها الشفاء على يد الأطباء حتي أعياهم ذلك، فيلجأ الزوج إلى أحد المشعوذين يلتمس من رقاه شفاءها، وما تجدي الرقي وشفاءها في لقاء من تحب وتهوى:

زُوِّجَـــتْ هِنْـــدٌ فَشَـــطّتْ عـــن مُعنّاهـــا نَواهـــا

[1] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٤٨ .

[2] – المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٤٩.

فَعَناهـــــا مـــــا عَنـــــاهُ ودَهـــــاهُ مـــــا دَهَاهـــــا
هِـــــيَ لا تَبْغِـــــي سِـــــواهُ وَهْـــــوَ لا يَبْغِـــــي سِـــــواها
لـــــو قَضَـــــى اللهُ بِجَمْـــــعٍ لَشَـــــفَتْهُ وشَـــــفَاها
جُـــنَّ فـــي الحُـــبِّ وجُنَّـــتْ فَحَكَتْـــــهُ وحَكَاهـــــا
تَركـــــبُ الكَلـــــبَ ، وآنَـــــا تُلـــــبِسُ الهِـــــرَّ حِلاهـــــا
وإذا الجَـــــوْزاءُ لاحَـــــتْ فَرَأتْهـــــا مُقْلتَاهـــــا
رَفَعـــــتْ كِلتـــــا يَـــــدَيْها تَبْتَغِيهـــــا فـــــي عُلاهـــــا
فَمضَـــــى الـــــزَّوجُ لِشَـــــيْخٍ ظَنَّـــــهُ القـــــومُ إلهـــــا
فَشَـــكا مَـــن لـــو أَراهـــا وَجْـــهَ سَـــعْدٍ مـــا شَـــكاها
فَرقَاهـــــا ، فاسْـــــتَطارتْ فَـــــاتَّقَى الشَّـــــيخُ أذاهـــــا
فَتَـــــولَّى يَقـــــرَعُ السِّـــــ ـــــنَّ لِأَميـــــالٍ مَشَـــــاها[1]

وتتوالي الأحداث إلى أن تتأزم وتصل إلى ذروتها بموت هند فجأة، فالموت أراحها من آلامها:

عَطـــفَ المـــوتُ عليهـــا فَطَـــوى بُـــرْدَ صِـــباها
واسْتعاضَـــتْ عَنـــكَ قَبْـــرًا فابْكِهـــا فِـــيمَنْ بَكاهـــا[2]

ومـا إن يصـل الخبـر إلـى حبيبهـا حتـى يعمـد إلـى السـم ويشـربه ويموت هو أيضًا كاتبًا بموته نهاية هذه القصة:

ومَضَـــى يَطلـــبُ سُـــمًّا يُـــورِدُ الـــنَّفْسَ رَداهـــا
ثُـــمَّ وافـــي قَبـــرَ هِنـــدٍ فَـــدَعاهُ ودَعَاهـــا

[1] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٢–٨٣ .
[2] – المرجع السابق , الجزء الثاني ، ص ٨٣ .

صَـــمتَ الكُـــلُّ فمـــا مِـــن نـــاطقٍ غيـــرُ صَـــدَاها[١]

وكانت هذه هي نتيجة هند وحبيبها، نتيجة إكراهها على الزواج من غيره، فمحرم يريد التأثير على القارئ لكي ينفر المجتمع من ظلم المرأة وإكراهها على الزواج من شخص لا يناسبها، وبهذا يكون محرم قد استخدم أحداث قصصه الشعرية لمحاربة بعض القضايا والمشكلات المهمة في المجتمع آنذاك.

وفي قصيدة (قضية شيخ)، بعد أن يُقدم الشاعر شخصيات القصة يقوم بعرض الحدث الذي يناقش قضية زواج الفتاة دون موافقة وليّها، ثم يدخل بتفصيلاته. قائلاً:

ظلامـــةُ الشَّـــيخِ لنـــا واضِـــحَةْ والعـــدلُ مـــا قَـــرّرهُ البارِحَـــهْ
حَاولـــتُ أن أقـــرأَ (تقريـــرَهُ) فَضاعَ نِصفُ اليومِ في الفاتِحَهْ
أَطْـــوَلُ ممّـــا بَـــينَ آمالنـــا وبـــين هَـــذِي القِسَـــمِ الجامِحَـــهْ
قَضِـــيّةٌ مَنكـــودةٌ غـــادرتْ هُمومَـــهُ غاديـــةً رائِحَـــهْ
ذَمَّ لهـــا الـــدُّنيا وأبناءَهـــا وَوَدَّ لـــو أفنتهمـــو جائِحَـــهْ
مِـــن مِـــذْرَهٍ جَـــمّ التَّـــواني إِلـــى قـــاضٍ يُريـــد الكفَّـــةَ الرّاجِحَـــهْ[٢]

خطب الشيخ علي يوسف الشاعر ومؤسس الصحافة الإسلامية العصرية بمصر وصاحب جريدة المؤيد ابنة السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية ورضيت الفتاة وسكت الأب فعقد العقد من غير علم الأب، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبًا فسخ

[١] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٣– ٨٤.

[٢] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص٩٩ .

العقد لعدم الكفاءة في النسب ودافع الشيخ عن نفسه وأثبت شرف نسبه. فينمو الحدث حتى يأتي القاضي بالنتيجة ويحكم بفسخ العقد والحيلولة بين الزوجين ويحزن الشيخ لما أصابه :

أو يَحزنِ الشّيخُ لِما نَابَهُ فإنّها نازِلةٌ فَادِحَهْ

لابُدّ أن يَنجابَ مكروهُها وتَقْرَبَ الأمنيةُ النّازِحَهْ[1]

فنلاحظ تتابع الأحداث في قصص أحمد محرم الشعرية، حتى تتأزم فتصل إلى العقدة والحبكة، ثم لحظة التنوير التي تكون دائمًا في صورة عبرة وعظة من حادثة اجتماعية معينة حدثت في المجتمع.

المبحث الثاني: الشخصية

الشخصيات من العناصر المهمة في الحكاية الشعرية بل هي العِمَاد، فهي التي يَبني عليها السارد عالمه، فالسارد "يتماهى بالشخوص، ويبرز أصواتها بإعادة أنتاج أقواله، بحسب أنماط سردية مختلفة، وتبقي النظريات المجردة مفيدة في تأسيسمفاتيح وإيجاد اللغةالمشتركة،ويبقي التطبيق هو الأصعب،إنه الفعل الأكثر تعقيدًا، وهو النشاط الذي يغري بالقفز فوق التفاصيل، أو الإشكالات الصغيرة، مع الاتكاء علي رؤى كلية تعزز الخطوط الثابتة المنهجية"[2] .

[1]- المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٠٠ .

[2]- جدالية المكان والزمان والإنسان في الروايةالخليجية، عبدالحميد محادين،الثقافة والتراث الوطني،وزارة الإعلام، البحرين،المؤسسةالعربية للدراسات والنشر،ط١،ص٢٣

والحقيقة أنه لا يمكن تصور وجود قصة دون أن تكون هناك شخصية واحدة على الأقل[١]، لأننا لا نستطيع إدراك الأفعال القصصية دون وجود الشخوص التي تحرك هذه الأفعال، وربما كان جيرار جنيت واعيًا إلى حد بعيد بالفهم الدقيق لطبيعة الشخصية القصصية، حينما ذهب إلى عدِّها "أثرًا من آثار الخطاب، ولكنها لا تنتمي إليه، بل إلى الحكاية"[٢]. فبناء الشخصية أمام المتلقي "هو بناء ثقافي، فالمتلقي لا يستطيع إدراك هذه الشخصية ومعرفة أسرارها إلا من خلال المخزون الثقافي المشترك بين محفل الإبداع ومحفل التلقي"[٣] .

وقد يلجأ الكاتب في تقديم شخصيته إلى "وسائل مباشرة (الطريقة التحليلية) وأخري غير مباشرة (الطريقة التمثيلية)، ففي الحالة الأولى يرسم شخصياته من الخارج، ويشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب على بعض تصرفاتها، ويفسر البعض الآخر، وكثيرًا ما يعطينا رأيه فيها، دون ما التواء. أما في الحالة الثانية، فإنه ينحي نفسه جانبًا، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها، بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة. وقد يعمد إلى توضيح بعض

---

[١]– انظر: مدخل إلى التحليل البنيوي القصصي، رولان بارت، ترجمة منذر عايش، مركز الإنماء الحضاري، حلب ٢٠٠٢ ، الطبعة الثانية ، ص ٦٣– ٦٤ .

[٢]– معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتون، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت٢٠٠٢، ص١١٥.

[٣]– سيميولوجيا الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة حنا مينا نموذجًا) سعيد بنكراد، الناشر مجدلاوي، عمان، الأردن، ص٣٧.

صفاتها، عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، وتعليقها على أعمالها"[١]. كما أن هناك أيضًا نوعان من الشخصيات في القصة،هما الشخصية الثابتة والشخصيات النامية، والنوع الأول تبني فيه الشخصية عادة حول فكرة واحدة، أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث، ولا تأخذ منها شيئًا .

أما الشخصية النامية فهي التي تتكشف لنا تدريجيًا خلال القصة، وتتطور بتطور حوادث القصة. ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث. وقد يكون هذا التفاعل ظاهرًا أو خفيًا، وينتهي بالغلبة أو بالإخفاق[٢]. والشخصيات في الأغلب عند أحمد محرم شخصيات خيالية رسمها الشاعر ليعبر بها عن مشكلة اجتماعية باتت ظاهرة في المجتمع المصري، ويريد من هذه الشخصية أن يسلط الضوء على هذه المشكلة محاولًا إيجاد حلولًا لها .

ويستخدم أحمد محرم في أغلب قصائده الكشف عن الشخصية وتقديمها إلينا عن طريق الوصف، ففي قصيدة (اللقيط) يصف لنا الشاعر الجو النفسي للشخصية الأساسية وهي (الفتاة). قائلاً:

ما للفتاةِ تُذيبُها الحسراتُ ؟ وَتفيضُ مِلءَ جُفونِها العَبَراتُ ؟
تبكي وتَضرِبُ باليَديْنِ ، وإنّما شَقِيَتْ بما نَعمتْ به الفَتَياتُ
وضَعَتْهُ وَضّاحَ الأسِرَّةِ باسِمًا تُجلَى بِنُورِ جَبينِهِ الظُّلُماتُ
شَغَفَ الخواطِرِ والعيونِ، إذا بَدا هَوتِ القُلوبُ إليه والمُهَجاتُ[٣]

---

[١]– فن القصة،محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط٥ ١٩٦٦، ص٩٨.

[٢]– انظر: المرجع السابق، ص١٠٣–١٠٤.

[٣]– ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ٩٣ .

وبعد أن عرَّفنا بالشخصية الرئيسية في القصة وهي الفتاة التي ارتكبت خطأً عظيمًا ووصف حالتها النفسية، وسبب بكائها، يُبرز لنا الشاعر الشخصية الثانية وهي شخصية ثانوية في القصة وهو الطفل الرضيع التي تريد الفتاة التخلص منه:

أَلقَتْهُ ناحيةَ الطّريقِ، وأجفلتْ تَحتَ الظّلامِ وللمُريبِ سِماتُ[١]

ثم يأتي دور (الفتى) الذي استسلمت له، وهو الشخصية الرئيسية الثانية في القصة، فيقدم لنا الشاعر هذه الشخصية عن طريق وصفه لموقف استسلام الفتاة له وخداعه لها. قائلاً:

خُدِعَتْ بِضِحْكَةِ فاجرٍ،فاسْتَسْلَمتْ إنّ النّساءَ تَغرُّها الضَّحكاتُ
فَتكتْ بِوافرِ عِرضِها مِنهُ يَدٌ ضَجَّتْ لِهَولِ صنيعِها الفَتكاتُ
لم يَدْرِ حين قضَى اللُّبانةَ أنّها نَفْسٌ ذَوتْ آمالُها النَّضِراتُ
وخَبا سِراجُ حَياتِها عن رَوْنَقٍ زِينَتْ بهِ أيّامُها الخَفِراتُ
وهَوَتْ إلي قاعِ الجحيمِ ، وإنّما زَلّتْ بها فَعَلاتُه الشَّنِعاتُ[٢]

فالشاعر لم يسم أبطال حكايته بل رمز إليهم عن طريق الوصف الجسدي والنفسي للشخصية، كما جاء تقديم الشخصيات بأنفسهم بطريقة مباشرة، ولم يغير الشاعر الأسلوب الذي اتبعه وهو الأسلوب التصويري[٣] القائم على رسم الشخصية من خلال حركتها وفعلها

[١]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٤ .

[٢]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٤ .

[٣]– انظر: شعرية الخطاب السردي، محمّد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق٢٠٠٥ ص١٩.

وصراعها مع ذاتها أو مع غيرها، راصدًا نموها من خلال الوقائع والأحداث، حيث يعطي الاهتمام الأكبر للعالم الخارجي .

وإذا نظرنا إلى شخصيات أحمد محرم في هذه القصيدة وجدناها نوعان: رئيسية: وهي البطل والبطلة أو الفتاة والفتى الذي استسلمت له. وثانوية: وهو الطفل الرضيع الذي تريد الفتاة التخلص منه .

وفي قصيدة (من جنايات الآباء) تتضافر الشخصيات وتتنوع بين شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، لتصوير الحدث القصصي الذي أراد الشاعر أن يعبر عنه ويجعله عظة لكل شخص أقدم على الزواج مرة ثانية، بأن يتوخى العدل، فيكشف الشاعر في بداية القصيدة عن شخصية شيخ وقع في حب فتاة وتزوجها وانقطع إليها وترك بنيه وزوجته الأولى بلا طعام أو رعاية:

صَبَا رَبُّ البنينَ إِلي فتاةٍ سَبَتْهُ اللُّبَّ والرّأيَ السّليما
يُحيّيه البنونَ فَيَزْدَرِيهم ويَلوِي عَنْهُمُ وَجهًا سَؤُوما
وتسألُ أُمَّهم : ماذا دَهاهُ ؟ فَيَحْسبُها جَنتْ ذَنبًا عَظِيما
تَزوَّجها ، فلم يَعدِلْ ، وأَمْسَى رَهينًا في حبالتها مُقيما
رأي البيتَ الجديدَ أحبَّ أهلًا فَعافَتْ نَفسُه البيتَ القديما
وغادرَ أَهلَه فيهِ حَيارَى يُقاسونَ الشّدائدَ والهُموما[1]

فنجد هنا الشخصيات الرئيسية هي الأب والزوجة والأبناء، أما الشخصية الثانوية فهي الفتاة (الزوجة الثانية) التي يتزوجها الأب، وقد قدم الشاعر لشخصياته بطريقة غير مباشرة عن طريق إعطاء المعلومات للراوي لكي ينشرها حول هؤلاء الشخصيات.

[1]- ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ١١١.

وتتطور الأحداث وتنمو الشخصيات في القصة، فيحاول الأبناء الذهاب إلى الأب (الزوج) لاستعطافه وتذكيره ببنوتهم له:

أتاهُ كبيرُهم يشكو إليهِ ويَطمعُ أن يكونَ بهم رحيما
فقال له : حَنانَكَ يا أبانا فقد أمسى الشَّقاءُ لنا غريما
جَذَمتَ حِبالَنا ، وصَرَفْتَ عنّا جميلَ البِرِّ ، والصُّنعَ الكريما
فأدميتَ القُلوبَ لِغيرِ سُوءٍ أَجَنَّتْهُ ، وأَضْنَيْتَ الجُسوما
حَنانَكَ ، وأصرِفِ البأساءَ عنّا ولاتَكُ جائرًا فينا ظَلوما
وكُنْ ما شِئْتَ إلّا ذا جَفاءٍ يَرُدُّ نَهارَنا ليلًا بَهيما
فأنتَ زَعيمُنا المرجوُّ ، لسنا نُصِيبُ سِواكَ في الدُّنيا زَعيما
فَقالَ : اعْزُبْ لَكَ الويلاتُ عَنّي ولاقَتْ أُمُّكَ الرُّزْءَ الجسيما[1]

ثم يبدأ صراع الأم مع الأب بعد استعطافه هي الأخرى له فهاج غضبه واشتعل فرماهم بقوارض الكلام، حتى ضاق الأمر وباتت تحرض الأبناء على الأب، فشخصية الأب هي الشخصية المحورية في القصة وهي شخصية ثابتة لم يطرأ عليها أي تطور أو تغيير من بداية الحكاية إلي نهايتها.

وفى قصيدة (الإكراه في الزواج) نجد شخصيات عديدة متنوعة، منها شخصيات رئيسية وثانوية:

شُغِفَتْ هِندٌ بَسَعْدٍ إذ رأتهُ ورآها
فَهْيَ نَهبٌ لهواه وهو نهبٌ لِهَواها[2]

[1]- المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١١٢ .

[2]- المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨١ .

يبدأ الشاعر قصيدته بتعريفنا بشخصيات أبطال قصته في بداية القصيدة بالكشف عن أسمائهم (هند – سعد)، مركزًا على ما جمع بينهم من حب ورفض الأهل لهذا الحب الذي هو محور القصيدة. ثم يأتي ظهور الشخصيات الثانوية بترتيب الأحداث، فتظهر الأخت الصغرى التي تخبر الأب ببكاء هند لاقتراب موعد الزواج من شخص آخر لا تحبه:

ودَنا الموعدُ منها فَشَجاها ما شَجاها
فَاجَأَتْها أُختُها الصُّغْـ رَى لِأَمْرٍ قد عَنَاها
فَرأَتْ مِن دَمْعِها الهَـ ـطّالِ ما هَاجَ أَسَاها[1]

ثم يأتي ظهور شخصيتين ثانويتين في القصة وهو الأب والأخ :

فانثَنَت تُنبِئُ عنها أَبَويْها وأَخَاها
سألوها ، فأَجابَتْ لا يَفُضُّ اللهُ فاها[2]

ثم يأتي ظهور شخصية ثانوية أخري وهو الزوج من خلال تصوير الصراع بين الفتاة التي يرغمها أهلها على الزواج من آخر، ولم تقو على المعارضة وتتزوج، فيأتي دور الزوج الثانوي في القصة محاولًا معالجة زوجته التي أصابها الألم واختل عقلها نتيجة إرغامها على الزواج:

فَمضَى الزَّوجُ لِشَيْخٍ ظَنَّهُ القومُ إلها
فَشَكا مَن لو أَراها وَجْهَ سَعْدٍ ما شَكاها[3]

---

[1]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨١ .

[2] – المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٢ .

[3]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٨٢– ٨٣ .

ثم يأتي الموت في النهاية ليريحها من آلامها، وما إن وصل الخبر إلى حبيبها حتي عمد إلي السم فشربه فمات هو الآخر. وبهذا، يكون أحمد محرم قد استخدم الوصف في تقديم شخصياته، و قد حرص في قصصه على وجود شخصيتين رئيسيتين، مع ترك مساحة غير واسعة لظهور شخصيات ثانوية تقوم بأحداث صغيرة بغرض اكتمال الصورة العامة للقصة، والإسهام في تطوير الأحداث، ودفع الشخصيات الرئيسية إلى مواقف معينة.

وقد اختار الشاعر أبطال قصصه من الشخصيات التي تنتمي إلى طبقات المجتمع الوسطى، لمناقشة مشاكل مجتمعه من خلالهم، وكأنه أراد أن يلتمس العلاج لهذه المشاكل من خلال قصائده.

المبحث الثالث : المكان

يعد المكان عنصرًا أساسيًا من عناصر السرد في القصيدة القصصية، كونه أكثر عمقًا وتنوعًا وتغلغلًا في التشكيل البنائي لها، فهو جزء فاعل في الحدث وهو الكيان الاجتماعي الذي يحتوى على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه[١]. فمن قصائده التي يميل فيها إلى الايحاءات لتحديد المكان، قصيدة (قضية الشيخ) يبدأ الشاعر بوصف الجو النفسي العام الذي يدور حوله الشيخ صاحب القضية، ويجعلنا الشاعر نشعر بأن المكان هو دار القضاء دون البوح به :

[١]– انظر: الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦، ص١٦

ظلامـــةُ الشَّـــيخِ لنـــا واضِـــحَةْ والعـــدلُ مـــا قَـــرّرهُ البارِحَـــهْ
حَاولـــتُ أن أقـــرأَ (تقريـــرَهُ) فَضـاعَ نِصفُ اليـومِ فـي الفاتِحَـهْ
أَطْـــوَلُ ممّـــا بَـــينَ آمالنـــا وبـــين هَـــذِي القِسَـــمِ الجامِحَـــهْ
قَضِـــيّةٌ مَنكـــودةٌ غـــادرتْ هُمومَـــهُ غاديـــةً رائِحَـــهْ[1]

فالكلمـات (ظلامـةُ الشـيخ – العـدل – وقَضِـيّةٌ مَنكـودةٌ) وغيرهـا مـن الكلمـات المنثـورة فـي ثنايـا القصـيدة تـوحي بـأن المكـان هـو دار القضـاء، فالشـاعر لـم يعنـي برسـم بيئـة أو مكـان محـدد بـل جعـل البيئـة تتسـم بالعمومية والشمول.

وفـي قصـيدة (الفاقـة المسـتورة والعـدل المخـدوع) يسـتخدم الشـاعر الإيحـاءات أيضًـا لـذكر المكـان الـذي تـدور فيـه القصـة ، ففـي البدايـة تـذهب خديجـة وهـي بطلـة القصـة للبحـث عـن معـاش لابنتيهـا (زينـب– وسـرور) ويعطينـا الشـاعر الإيحـاءات وبعـض الـدلالات أن المكـان هـو الشارع :

ذَهبـتْ (خَدِيجـةُ) بَعـدَ فُرقـةِ بَعلِهـا تَبْغِـــى المعاشَ(لِزَيْنَبٍ)و(سُـــرورِ)
سـوداء ظَـاهَرَ مـا دَجـا مـن لَونِهـا جِـــدٌّ يُظـــاهِرُ حَالِـــكَ الـــدَّيْجُورِ
طافـتْ تَهُـزُّ المُحسِـنينَ ، فَهزَّهـا قـولٌ يَهِـيجُ طَماعـةَ المغـرورِ[2]

ثـم ينتقـل بعـد ذلـك الشـاعر إلـى مكـان آخـر تـذهب فيـه الأم بعـدما أصـابها مـن إرهـاق وهـو منزلهـا، وهـو أيضًـا يسـتخدم الإيحـاءات والوصـف العام. قائلًا:

عَادتْ(خَدِيجةُ)بعـد طُـولِ طَوافِهـا وَلْهَـى تَعـضُّ أنامِـلَ المَحْسُـورِ
تَبكِـي، ويَسـتَعِرُ الطَّـوَى فـي جَوْفِهـا فَتمـــدُّهُ مِـــن دَمعِهـــا بِسَـــعيرِ

[1]– ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ٩٩ .
[2]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٥٧ .

قالـــت لِفَرْخَيْهـــا: سَنصـــبِرُ ليلـــةً والصّـــبرُ للضُّـــعفاءِ خَيـــرُ ظهيـــرِ
الصُّـــبحُ موعِـــدُنا، وإنّـــا نَبْتَغِـــي نَفَحـــاتِ ربٍّ بالعبـــادِ خَبيـــرِ
باتـــتْ مُولَّهـــةَ الفُـــؤادِ، وللـــدُجَى إطـراقُ عـانٍ فـي الحبـالِ أسـيرِ[١]

فالكلمات(عـادت– باتـت– سنصـبر ليلـة– الصـبح موعـدنا– الـدجي) كـل هـذه الكلمـات المنثـورة فـي الأبيـات تـوحي بـأن الأم قـد عـادت إلـى منزلها.

ومـن القصـائد التـي أفصـح فيهـا الشـاعر عـن المكـان مباشـرة ، قصـيدة (بـولس وفرجينـي) يسـتخدم الشـاعر الوصـف العـام للمكـان الـذي يقيمـان فيه حيث المدائن والقري ثم الطبيعة الخلابة حيث الخلاء. قائلًا :

هـل مِثـلُ (فِرجينـي وبُـولُسَ) شـاهِدٌ؟ أم مِثـلُ هَاتِيـكَ الوقـائعِ مَقْنَـعُ ؟
جَفَـــتِ المـــدائنَ والقُـــرَى أمّاهمـــا وأقامتـــا حيـــثُ الخـــلاءُ الأَوْسَـــعُ
تَتطلّبـــانِ مـــن الطبيعـــةِ رَحْمـــةً فكأنّمـــا هـــي مَلجـــأٌ أو مَفْـــزَعُ
أَلـــوَى بصـــبرهما وشـــرَّدّ منهمـــا قَـدَرٌ مَضَـى ، ومَشِـيئةٌ مـا تُـدفَعُ
لـم تَـدْرِ(فِرجيني) و(بُـولُسُ) مـا جَنَـى بُـؤسُ الحيـاةِ ، وشـرُّها المُتَنـوَّعُ
شَـــبَّا ، وحُبُّهمـــا يَشُـــبُّ كمـــا همـــا وترعرعـــا ، وهواهمـــا يَتَرعْـــرَعُ
مَلَكـانِ ، عاشـا فـي الخَـلاءِ كلاهمـا لهمـا بَهاتِيـكَ العَـوالِمِ مَرْتَـعُ[٢]

وفـي أرجـوزة أحمـد محـرم أو (قـول الـراوي فـي حادثـة المنشـاوي)[٣]، يمثـل المكـان محـورًا فـي تحريـك الشخصـيات، فقـد دارت أحـداث هـذه

[١]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٥٨ .

[٢]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١١٧–١١٨ .

[٣]– في هذه الأرجوزة يسرد الشاعر قصة محاكمة أحمد المنشاوي وسجنه لاتهامه بارتكاب جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموه بسرقة مواشي من مزرعة الخديوي عباس حلمي الثاني حتي اضطرهم

القصة في مكانين مهمين، فالأول كان السجن محبس اللصوص، فيه يتم محاولة ارغامهم على قول الحقيقة :

لم يَلبثِ اللُّصوصُ حتّي وَقعوا وحَاق في السِّجنِ بهم مَا صَنعوا
لكنّهم عند السُّؤالِ أنكروا وأَظهروا مِنْ بأسِهم ما ظهروا
لم يرهبوا التّهديدَ والوعيدا ولم يخافوا السّجنَ والحديدا
وضَاعَ فيهم تَعَبُ البوليسِ ونَصَبُ المرءوسِ والرَّئيسِ[1]

ثم يظهر مكان آخر على ساحة المشهد القصصي وهو دار القضاء، بعدما أمر المدير والمأمور الخدم والعبيد أن يحضروا العصا والحبال ليعذبوا اللصوص ليعترفوا بما اقترفوه، فتعترف اللصوص، خوفًا من أن تقع ضحية الإباء، ولم يلبث اللصوص حتى عادوا شكوي إلى النيابة في المدير والمأمور ورفعوا الأمر للقضاء:

وهكذا المأمورُ والمنشاوي كِلاهما اسْتَجارَ بالهلباوي
وبالحُسيني الجليلِ الشانِ وآخرَ مُذرّبِ اللّسانِ
ثُمّ استعدَّ الكلُّ للمُدافَعَهْ في ساحةِ القضاءِ والمرافعَهْ
وَهْم يَودّونَ انْقِضاءَ الأمرِ مُزودًا بالخيرِ لا بالشرّ
حتَّى إذا ما حَانَ يَومُ الجلسَهْ وأصبحَ الكلُّ يُمَنِّي نَفْسَهْ
وكان يومًا ليس كالأيّامِ لِشَّدَّةِ الضَّجيجِ والزِّحامِ
اجتمعَ المئاتُ والأُلوفُ ومَاجَتِ الجموعُ والصُّفُوفُ
وهَرعَ الكلُّ إلي المحكمةِ لِيشهدوا وَقائعَ القَضِيَّةِ

إلى الإقرار بالسرقة، وتمثل هذه الحادثة فترة من فترت الصراع بين الخديوي والإنجليز. انظر: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٦٤.

[1]- المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٦٨ .

ويســـمعوا الـــدّفاعَ ثـــمَّ الحُكْمـــا يكـــونُ عـــدلًا أم يكـــونُ ظُلمـــا[١]

وبهذا ؛ يظهر تنوع المكان في الشعر القصصي عند أحمد محرم بين الحديث المباشر، والحديث الذي يتسم بالعمومية والشمول دون تحديد مكان محدد مستخدمًا بعض الكلمات التي توحي بالمكان.

المبحث الرابع: الزمن

يعد الزمن من أهم عناصر السرد التي تجعل من المتن الحكائي مبني حكائيًا ، فللزمن في الأعمال السردية أهمية قصوى حيث أولاه النقد قديمًا وحديثًا عناية ملحوظة، لأن الزمن هو الإيقاع الذي يضبط أحداث الحياة، والشاهد الحي على مصير شخصياتها، والعنصر الفعّال الذي يغذي حركة الصراع[٢]، فالقص غالبًا ما يتضمن أفعالًا لأشخاص أو أحداثًا يضطربون فيها، وهذه الأفعال والأحداث تمر في مرحلة زمنية من العمر، ومن ثَمَّ فإن هذه الأحداث حين تصاغ في نص لا تأخذ شكلًا ثابتًا بقدر ما يحددها السياق، فمن الممكن أن يصاغ الحدث على وفق تسلسله الزمني الموضوعي أو الزماني الفيزياوي أو الكوني، فيأخذ تسلسلًا خاصًا بحسب الساعات أو الأيام أو الأسابيع ألخ[٣].

---

[١]- المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٧١- ٧٢ .

[٢]- انظر: بناء الروايةدراسة في الرواية المصرية،عبدالفتاح عثمان،دار التقدم،القاهرة،١٩٨٢،ص٥٤

[٣]- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة،دارالحامد للنشر والتوزيع،عمان،ط١،٢٠١٠ ص١٦٨

فالشاعر يفتح النص بحسب تسلسل الحكاية الزمنية معتمدًا على بداية ووسط ونهاية، دون ارتداد إلى الخلف أو استباق، وقد هيمن هذا النمط على معظم القصائد القصصية عند أحمد محرم، ففي قصيدة (قضية الشيخ)، فالشيخ علي يوسف يتزوج ابنة السيد أحمد عبد الخالق بدون موافقة الأب، فيتقدم الأب إلى القاضي لرفع دعوة قضائية بفسخ العقد، فالأحداث تسير في تتابع حتي تنتهي بالحكم بفسخ العقد:

ظلامةُ الشَّيخِ لنا واضِحَهْ والعدلُ ما قَرّرهُ البارِحَهْ
حَاولتُ أن أقرأَ (تقريرَهُ) فَضاعَ نِصفُ اليومِ في الفاتِحَهْ
أَطْوَلُ ممّا بَينَ آمالنا وبين هَذِي القِسَمِ الجامِحَهْ
قَضِيّةٌ مَنكودةٌ غادرتْ هُمومَهُ غاديةً رائِحَهْ
ذَمَّ لها الدُّنيا وأبناءَها وَوَدَّ لو أفنتهمو جائِحَهْ
مِن مِدْرَهٍ جَمّ التَّواني إلى قاضٍ يُريد الكفَّةَ الرّاجِحَهْ
إلى أُناسٍ خَالفوا دِينَهم وجَانَبوا أحكامَهُ الصَّالِحَه
أَعْجَبُ ما في دَهرِنا شاعرٌ يَلهجُ (بالقانونِ) واللّائِحَهْ
إن يَعبثِ الدّهرُ بأهلِ النُّهَى فَتِلكَ منه سُبَّةٌ فاضِحَهْ
أو يَحزنِ الشّيخُ لِما نَابَهُ فإنّها نازِلةٌ فَادِحَهْ
لابُدّ أن يَنجابَ مكروهُها وتَقْرَبَ الأمنيةُ النّازِحَهْ[1]

فالشاعر هنا استخدم النسق الزمني الصاعد[2]، الذي تتابع فيه الأحداث كما تتابع الجمل على الورق، ويكثر في القصص الكلاسيكي الذي يبدأ بوضع البطل في إطار معين، ثم يأخذ بالحديث عنه ،

[1]- ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ٩٩- ١٠٠ .

[2]- انظر : شعرية الخطاب السردي ، محمد عزّام ، ص١٠٦ .

فالشاعر وضع بطل قصته في إطار قضية معينه وهي الزواج بدون موافقة الولي وأخذ في تتبع الحدث، حتى وصل إلى نهاية القضية.

وفي قصيدة (قول الراوي في حادثة المنشاوي) يستخدم الشاعر التتابع الزمني للحدث بدأ من الخدوي عباس حلمي الثاني مفتخرًا بنفسه:

وقَالَ : هل في الأرضِ ثَوْرٌ مِثلي ؟ أو في السّماءِ شكله كشكلي؟
هَيْهاتَ أن يُوجدَ لي شَبيهُ فَلِمَ لا أَعجبُ أو أَتِيهُ ؟
ولم يَزَلْ يُفاخِرُ الجميعا دَأَبَ الرّفيعِ فَاخرَ الوضيعا[1]

إلى آخر القطعة الشعرية، ثم يتفق اللصوص على سرقته، فسرقوه وكان جزاؤهم أن زُجوا في السجن،وهنا يتخطى الشاعر فترة زمانية غير مؤثرة من وجهة نظره، وهي كيف سرقوه؟ وكيف تم القبض عليهم؟.

وقد يلجأ الراوي إلى تقنية تخطي الفترات الزمانية (تسريع السرد) غير المؤثرة في حياة الشخصية أو التي لا تقع فيها أحداث مهمة بالنسبة للقصة، وصولًا إلى الفقرات الأشد تأثيرًا في الشخصية، ويلجأ الراوي إلى هذه التقنية أيضًا حينما يعرض تعريفًا موجزًا لحياة شخصية ما تظهر في القصة أو عندما يعرض ما يؤول إليه أمر شخصية ما

[1]- ديوان محرم، الجزء الثاني، ص٦٦.

في المستقبل، إن الخلاصة غالبًا تمثل وجهة نظر الراوي[١]، ويمكن أن يطلق عليها التلخيص[٢].

ويلجأ أحمد محرم إلى هذه التقنية الحركية كثيرًا في قصائده ، ففي قصيدة (حُنوُّ الجَاهِل) يُرتب محرم الأحداث ترتيبًا زمنيًا تصاعديًا " بداية ووسط ونهاية "ولكنه يتخطى بعض الأحداث غير المهمة من وجهة نظره، فتبدأ الحكاية بقصة طفلين أراد أبوهما أن يزودهم بالمعرفة، لكن الأم تخشي بعدهما عنها فتحاول إقناع الأب فيستسلم الأب في النهاية لمعرفة الأم:

فكان إذن (لِفَاطِمَ) ما أرادتْ وأصبحَ بَعْلُها في شرِّ غَمْرَه
وشَبَّ على الأذى (عَمْرٌو) و(سَعْدٌ) وشَدَّ كِلَاهما للشَّر إِزْرَهْ[٣]

فالشاعر تخطي فترة زمنية في حياة هذين الولدين، وهي كيف شبَ هذان الولدان؟ وماذا تعلما؟ ورأي أنها غير مؤثرة في القصة، لينتقل إلى نهاية الحدث وهو شر عاقبة الجهل. وشيوع هذا النمط التتابعي يعود إلى كونه يحكي سلسلة من الأفعال الإنسانية في الحياة، التي تأخذ شكل التتابع في الأحداث .

كما استعمل أحمد محرم تقنية الاسترجاع (الارتداد)، وهو "عملية سردية تتمثل في إيراد السارد حدثًا سابقًا على النقطة الزمانية التي

---

[١]- انظر: النص الروائي تقنيات ومناهج، برنار فاليط، ترجمة رشيد بنحدو، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٢، ص١١٢ .

[٢]- انظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٥، ص١٠٢.

[٣]- ديوان محرم، الجزء الثاني، ص٤٧-٤٨.

بلغاها السرد"[١]. ويتم أما "بطريقة السرد التقليدي، بأن يعود راوي الأحداث إلى رواية الأحداث الماضية التي وقعت قبل بدء أحداث الرواية، أو قبل بدء الأحداث التي ترويها"[٢]، وهذا الاسترجاع له وظائف كأن يعطي إطار مكانيًا للحدث، أو يعطي ماضي شخصية ما، أو أنه يعلم المروي له ابتداء السرد وما يؤول إليه حتي يخلق في نفسه تشوقًا لمعرفة الأحداث التي ستعود إليه"[٣].

وهذا الاسترجاع قد يكون خارجيًا أو داخليًا، وقد استعمل أحمد محرم الاسترجاع الداخلي في قصيدة (اللقيط)، وهو العودة إلى ماضٍ لاحقٍ لبداية الحكاية ، وقد تأخر تقديمه في النص[٤]. فالشاعر يبدأ قصيدته بذكر قصة فتاة حملت سفاحًا وانجبت طفلًا :

ما للفتاةِ تُذِيبُها الحسراتُ ؟ وتَفيضُ مِلءَ جُفونِها العَبَراتُ ؟
تبكي وتَضرِبُ باليَديْنِ ، وإنّما شَقِيَتْ بما نَعمتْ به الفَتَياتُ
وضَعَتْهُ وَضّاحَ الأسِرَّةِ باسِمًا تُجلَى بِنُورِ جَبينهِ الظُّلُماتُ[٥]

---

[١]– البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٤، الجزء الأول، ص٦٢.

[٢]– المرجع السابق، الجزء الأول، ص٦٢.

[٣]– مدخل إلى نظرية القصة (تحليلًا وتطبيقًا)، سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٨.

[٤] – انظر: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، جيرار جنيت، ص٦١.

[٥]– ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ٩٣ .

ثم يعود أحمد محرم مرة أخري ويبدأ الاسترجاع الداخلي ليعلمنا بما حدث لهذه الفتاة، ويستدعي صورة من الماضي وهي صورة الشاب الذي خدع هذه الفتاة، وكيف خدعها؟. قائلاً:

خُدِعَتْ بِضِحْكَةِ فاجِرٍ، فاسْتَسْلَمتْ إنّ النّساءَ تَغرُّها الضَّحَكاتُ
فَتكتْ بِوافرِ عِرضِها منهُ يَدٌ ضَجَّتْ لِهَولِ صنيعِها الفَتكاتُ
لم يَدْرِ حين قَضَى اللُّبانةَ أنّها نَفْسٌ ذَوتْ آمالُها النَّضِراتُ[1]

واستعمل أحمد محرم – أيضًا – تقنية الاستباق (الاستشراف) وهو عملية سردية تقوم على التوقعات، إذ "تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إلية مُسبقًا"[2]. أي تقديم أحداث لاحقة قبل زمن وقوعها. وهناك طريقتان أو شكلان لاشتغال الاستشراف بحسب الطبيعة المسندة إلية في النص وهما الاستشراف كتمهيد أو الاستشراف كإعلان[3] .

وقد استعمل أحمد محرم الاستشراف تمهيدا في قصيدة(من جنايات الآباء)، وهو "يتمثل في أحداث أو إشارات أو إيحاءات أولية يكشف عنها الراوي ليمهد لحديث سيأتي لاحقًا، وبالتالي يعد الحدث أو الإشارة الأولية هي بمثابة استباق تمهيدي للحدث الآتي في السرد"[4].فالشاعر يبدأ قصيدته بالتنبؤ بما سيحدث لاحقًا، ويجعله عظة لكل شخص أقدم على الزواج مرة ثانية، بأن يتوخى العدل، فالظلم والجهل عاقبته الشر والشوم:

---

[1]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٤ .

[2]– مدخل إلى نظرية القصة(تحليلًا وتطبيقًا)،سمير مرزوقي وجميل شاكر،ص٧٦

[3]– انظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي،المركز الثقافي العربي، ط١٩٩٠،١ ص١٣٣–١٣٧.

[4]– الزمن في الرواية العربية (١٩٦٠–٢٠٠٠) أطروحة دكتوراه، إعداد مها حسن يوسف عوض الله، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٩ .

أَرادَ اللهُ بـــــــالأقوامِ خيـــــــرًا فكـــان مُـــرادُهم شـــرًّا وشُـــوما
ولـــولا جَهلُهـــم لَغَـــدُوا جَميعًـــا يُلَقَّـــوْنَ النَّضـــارةَ والنّعيمـــا
ولـــو ســـلكوا المحجّـــةَ فاسْـــتَقاموا لَكـــانَ الأمـــرُ فـــيهم مُســـتَقيما[1]

وبهـذا؛ يكـون أحمـد محـرم قـد اسـتخدم النسـق الزمنـي الصـاعد فـي ترتيـب الأحـداث التـي قامـت عليهـا قصصـه الشـعرية، كمـا اسـتخدم بعـض مـن تقنيـات الـزمن السـردي كتسـريع السـرد والاسـترجاع الـداخلي والاسـتباق "الاستشراف"، وفي هذا إثراء للجانب القصصي في شعره.

المبحث الخامس : اللغة والأسلوب

لجـأ أحمـد محـرم إلـى الوصـف فـي رسـم قصصـه الشـعرية ، فلغتـه لـم تبتعـد عـن لغـة عصـره الـذي يحيـا فيـه، فكانـت قريبـة مـن اسـتعمال المجتمـع الـذي يعـيش فيـه، وخاصـة أنهـا كانـت قصـص اجتماعيـة تعبـر عـن مشـاكل المجتمـع الـذي يعـيش فيـه الشـاعر محـاولاً إلقـاء الضـوء عليها. ففي قصيدة (بولس وفرجيني)[2] يقول الشاعر:

كُـلُّ النُّفـوسِ إلـى السّـعادةِ تَنـزعُ فَمُوفَّـقٌ يُعطَـي، وآخـرُ يُمْنَـعُ
وأرى الحـديثَ ألـذّهُ فـي مَسـمعٍ مـا كـان منـه عَـنِ السّـعادةِ يُسْـمَعُ
ضَـلَّتْ مَسـالِكَها نُفـوسٌ جَمَّـةٌ تَقتادُهـا أيـدي الشّـقاءِ فَتَتبـعُ
إنّ السّـعادةَ لـيس يَسـطَعُ نُورُهـا إلّا بحيـثُ تَـرى الفَضـيلةَ تَسْـطَعُ
ولَرُبّمـا مَـرّتْ بقصـرٍ شـاهقٍ فَمضـتْ وأَعجَبهـا الفَضـاءُ البلقـعُ

[1]– ديوان محرم ، الجزء الثاني ، ص ١١١ .

[2]– (بولس وفرجينى) نص فرنسي تم نقله إلى العربية، وتم تسليمه إلى مصطفى لطفي المنفلوطي الذي صاغه بأسلوبه ونشر تحت عنوان (الفضيلة) لـ (برناردان دي سان بيير).

هـل مِثْـلُ(فِرجيني وبُـولُسَ) شـاهِدٌ؟ أم مِثْـلُ هَاتِيـكَ الوقـائعِ مَقْنَـعْ ؟
جَفَـتِ المـدائنَ والقُـرَى أمّاهمـا وأقامتـا حيـثُ الخـلاءُ الأَوْسَـعُ
تَتطلّبـانِ مـن الطبيعـةِ رَحْمَـةً فكأنّمـا هـي مَلجـأٌ أو مَفْـزَعُ
أَلـوَى بصـبرهما وشـرَّدَ منهمـا قَـدَرٌ مَضَـى ، ومَشِـيئةٌ مـا تُـدفَعُ
لـم تَـدْرِ(فِرجيني)و(بُولُسُ)ما جَنَـي بُـؤسُ الحيـاةِ، وشـرُّها المُتَنـوَّعُ
شَـبَّا ، وحُبُّهمـا يَشُـبُّ كمـا همـا وترعرعـا ، وهواهمـا يَتَرعْـرَعُ
مَلَكانِ،عاشـا فـي الخَـلاءِ كلاهمـا لهمـا بَهاتِيـكَ العَـوالِمِ مَرْتَـعُ
جاءتهمـا زِنْجِيَّـةٌ مَكروبـةٌ تشكو أذَى المـولي الظَّلـومِ وتَضْـرَعُ
حتّـى إذا بَلغَـاهُ بعـد مَشـقَّةٍ شَـفَعا لِمَـنْ جَاءَتْهمـا تَتَشـفَّعُ
ودجـا الظّـلامُ ، فمـا لِعَـينٍ مَنفـذٌ فيـهِ ، ولا مـن جِنْحـهِ مُتَطَّلـعُ
قَرَعـا هُنالِـكَ خَيـرَ بـابٍ يُرْتَجـي للنّائبـاتِ إذا تَنـوبُ ويُقْـرَعُ
فأتاهمـا غـوثٌ شَـفَي نَفْسَـيْهما واللهُ يَـذخرُ للفتـى مـا يَصـنعُ
ومـن الطّبيعـةِ لِلنُّفـوسِ مُـؤدِّبٌ يَنْهَـى عَـنِ الخُلـقِ الـذّميمِ ويَـردعُ[1]

استطاع الشاعر من خلال لغته المكثفة أن يرسم الملامح النفسية لكل من أبطال قصته، وإظهار معاناة كلاهما، فالأرض ضاقت عليهما بما تحويه من مدائن وقري، وذهبا إلى الطبيعة الخلابة، فكانت لهم ملجأ ومفزع، فوجدوا في هذه الطبيعة النُهي عن الأفعال الذميمة وتربية النفس واتجهوا إلى القراءة والكتابة. فنلاحظ اتكاء الشاعر على الجمل الفعلية في القصيدة مثل (أري الحديث– ضلت مسالكها–جفت المدائن– أقامتا حيث الخلاء– دجا الظلام–أتاهما غوث)، وغيرها من الجمل الفعلية المنثورة في ثنايا القصيدة التي تدل على الحركة

[1]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١١٧– ١١٨ .

والاضطراب، تلك الحركة التي تجسدت في أفعال الشخصيات وذلك الاضطراب في الأحداث.

وقد عمد الشاعر إلى استخدام الأفعال الماضية مثل (أري– ضلت – مرت – جفت – أقامتا – مضي – شبا– دجا– قرعا ... وغيرها) وهذا يدل علي ثبوت الحال واستقراره . وأكثر الشاعر من استخدام الألفاظ المعنوية مثل (السعادة– الشقاء–الفضيلة..وغيرها)، وهي ألفاظ تدل على إعمال الشاعر لعقله في إثبات رأيه. كما استخدم الشاعر ظاهرة التكرار من خلال تكرار الكلمة والحرف والأسلوب، ففي قوله:

لَهْفِي علي الباكي المُعفَّرِ وَجهُه لَهْفِي علي النّفس التي تتمزَّعُ
لهفي علي تلك الأمانيّ التي كانت زَخارِفُها تَغرُّ وتَخْدَعُ[1]

استخدم الشاعر تكرر الكلمة (لهفا)، وهذا التكرار يلجأ إليه الشاعر لرسم صورة موحية ومؤثرة تسهم في الوقت ذاته في إبراز القصة الرئيسية. كما نلاحظ تكرار أساليب الاستفهام في ثنايا القصيدة كلها، مثل قوله (هل مثل (فرجيني وبولس) شاهد؟ –أم مثل هاتيك مقنع؟– ما بال (فرجيني)؟ وأين قرارها؟ – ولأي نازلة أراها تصرع؟ – فتجيرها منها نصائح أربع؟.... وغيرها) من الأساليب الاستفهامية التي استعملها الشاعر في قصته الشعرية للاستنكار والتأكيد .

وكشفت الأبيات السابقة حرص الشاعر على تزين النص بموسيقى اللفظ، فهناك التصريع (تنزع–تمنع،مسمع– يسمع)، وهناك الجناس الاشتقاقي الذي يظهر في مواضع عديده في القصيدة منها "يسطع–

[1]– المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٢١ .

تسطع،شَبًّا– يَشُبُّ، ترعرعا– يَتَرعْرَعُ، شَفَعا–تَتَشفعُ، قَرَعا–يُقْرَعُ)، ومن ثم فقد تميز النص بارتفاع النغمة الموسيقية؛ مع الدقة في اختيار اللفظ وتكرار عرف العين، وهو حرف يتسم بالقوة والشدة والصلابة، مما يزيد النغمة الصوتية ارتفاعًا. فالشاعر يبدو دقيقًا في اختيار ألفاظه؛ فألفاظه منتخبة، وليس فيها توغل ولا غريب، وإنما فيها الرقة والعذوبة، ومعانيها متدفقة مرتبة لا غموض فيها، يظهر فيها التناسق اللفظي والبعد عن التكلف، فقد عني عناية خاصة بترتيب الأفكار وانتظامها في دقة وتناسب، فهو يجيد التعبير عن المواقف من خلال بناء شعري سردي عماده اللغة الموحية والبناء الخادم للقصةوترابط أجزاء القصيدة.

إن هذه التقنيات الأسلوبية التي وردت في قصيدة(بولس وفرجيني) تتكرر في سائر اجتماعيات محرم القصصية، فهو يعمد إلى الوصف في رسم القصيدة القصصية، فلا تبتعد لغته عن روح العصر الذي يحيا فيه كما لا تعتمد إلى الإسراف من استخدام اللغة المعجمية (لغة التراث)التي تكون بعيدة عن فهم الناس وإدراكهم لها وبالتالي لا تتحقق الغاية المنشودة أو الهدف من القصة.

الخاتمة

لقد كان الشعر وثيق الصلة بالسرد منذ العصر الجاهلي، فقد حمل هذا الشعر في طياته سمات سردية من خلال الميل إلي القص وذكر مآثر القبائل والشخصيات إلخ، وقد أكد شعراء الجاهلية هذه السمة في قصائدهم ، والعناية النقدية للنقاد بهذه الظاهرة في القرن الرابع الهجري ارهاصًا ببروز بلاغة جديدة في الشعر تعتمد على التداخل بين الشعر والسرد، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتوضح مدي تداخل عناصر السرد

في الشعر وبخاصة شعر أحمد محرم، وقد تحقق لي من خلال هذه الدراسة النتائج الآتية:

– استيعاب الشعر لعناصر السرد القصصي وهي موجودة في الشعر منذ القدم، وزادت العلاقة بين الشعر والسرد في العصر الحديث، حيث أفاد الشعراء من تقنيات السرد وأصبح هناك تقارب بين الشعر والقصة.

– أحمد محرم شاعر مصري، من شعراء القومية والإسلام حفظ الشعر، وطالع النصوص الأدبية السائدة ، وكان من دعاة الإصلاح الاجتماعي والوحدة الوطنية، وهو من شعراء مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي والتي كان من دعاتها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم حيث جددوا الصياغة الشعرية بعد تدهورها.

– ظهور عناصر السرد القصصي في شعر أحمد محرم الاجتماعي، فجاءت الأحداث تتناول قضايا اجتماعية مسلسلة مرتبة غير منفصلة عن الشخصيات، التي عمد الشاعر إلى اختيارها من الطبقة الوسطى من المجتمع المصري، وغلب على شخصياته الثبات وعدم التطور، وغلب عليها وجود الشخصية المحورية.

– استفاد أحمد محرم من عنصري الزمان والمكان وهما من أهم عناصر السرد ووظفهما في شعره أفضل توظيف، فتنوعت تقنيات الزمن السردي لدي الشاعر بين تسريع السرد واسترجاعه واستباقه، محاولًا الاستفادة من هذه التقنيات في بناء قصصه الشعرية، كما ظهر تنوع المكان في شعره بصور متعددة بين الحديث المباشر، والحديث الذي يتسم بالعمومية والشمول لإكساب النص قيمة جمالية.

– وتميزت لغته بتقنيات محددة ساعدت على تجسيد الفكرة الرئيسية.

– سَخَّر أحمد محرم البناء السردي من أحداث ومكان وشخوص وزمان للتعبير عن قضايا مجتمعه، محاولاً إيجاد الحلول لهذه المشكلات الاجتماعية التي كانت تواجه المجتمع في هذا الوقت.

المصادر والمراجع

١– أحمد محرم دراسة في حياته وشعره ، مصطفى محمد الفار ، منشورات أمانة عمان الكبرى ، عمان ، ٢٠٠٨ .

٢– إقليم البحيرة، محمد محمود زيتون ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٢ .

٣– الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية ، زكي مجاهد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م .

٤– البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٩٤ .

٥– البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، ٢٠١٠ .

٦–البنية السردية في النص الشعري، محمد زيدان، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤ .

٧– الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٦.

٨– السرد في الروايةالمعاصرة(الرجل الذي فقد ظله)نموذجًا، عبدالرحيم الكردي، تقديم طه وادي، دار الثقافة للطباعةوالنشر، ط١، ١٩٩٢.

٩– الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة .

١٠- العمدةفي محاسن الشعروآدابه ونقده،أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دارالجيل، ط١٩٨١،٥.
١١- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون ، حققها عبد السلام الشدادي ، الدار البيضاء، الطبعة الأولي، ٢٠٠٥ .
١٢- النص الروائي تقنيات ومناهج، برنار فالي، ترجمة رشيد بنحدو، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٢.
١٣- أليات السرد في الشعر المعاصر، عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ .
١٤-بلاغة الخطاب وعلم النص،صلاح فضل،عالم المعرفة، الكويت١٩٩٠
١٥- بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، عبد الفتاح عثمان، دار التقدم، القاهرة ١٩٨٢ .
١٦- بنيةالشكل الروائي،حسن بحراوي،المركزالثقافي العربي ط١ ١٩٩٠
١٧- تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)محمد مفتاح،المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .
١٨- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق،أمنة يوسف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،الطبعة الثانية، ٢٠١٥ .
١٩- جدالية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، عبد الحميد محادين، الثقافة والتراث الوطني، وزارة الإعلام، البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى .
٢٠- خطاب الحكاية(بحث في المنهج)جيرار جنيت،ترجمة عبدالجليل الأزدي ومحمد معتصم،عمر حلي،الهيئةالعامة للمطابع الأميرية،ط١٩٩٧،٢
٢١- خمسة من شعراء الوطنية، بدوي طبانة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٢- دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت،١٩٨٤ .
٢٣- ديوان الأعشى الأكبر، ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين، الناشر مكتبةالآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، ص١٣٩.
٢٤- ديوان محرم، أحمد محرم، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ .
٢٥- رسائل محرم ، أحمد محرم ، تحقيق حسنين محمود حسنين ، الطبعة الأولى ، دار النشر للجميع .
٢٦- سيميولوجيا الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة حنا مينا نموذجًا) سعيد بنكراد ، الناشر مجدلاوي ، عمان ، الأردن .
٢٧- شاعر العروبة والإسلام، أحمد محرم، محمد إبراهيم الجيوشي، دار العروبة ، ١٩٦١ .
٢٨-شعريةالخطاب السردي،محمدعزّام،منشورات اتحادالكتاب العرب، دمشق
٢٩- عيار الشعر، محمد ابن طباطبا العلوي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الثالثة.
٣٠- فن الشعر، ارسطوطاليس، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي ابن سينا وابن رشد ن ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣.
٣١- فن القصةالقصيرة، رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٣٢-فن القصة،محمديوسف نجم،داربيروت للطباعةوالنشر،بيروت١٩٥٥
٣٣- كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر، ابن سينا، شرح وتحقيق محمد سليم سالم ، دار الكتب ، ١٩٦٩ .
٣٤- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، ج٣.

٣٥- ما لا تؤديه الصفة، حاتم الصكر، دار الكتابات، بيروت،١٩٩٣.
٣٦- مدخل إلى التحليل البنيوي القصصي ، رولان بارت ، ترجمة منذر عايش ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٢ .
٣٧- مدخل إلي نظرية القصة (تحليلًا وتطبيقًا)، سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٥.
٣٨- مشاهير شعراء العصر الأقطار العربية الثلاثة(مصر وسوريا والعراق)، أحمد عبيد، مطبعة التراقي، دمشق، الطبع الأولي ، ١٩٢٢.
٣٩- معجم الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢.
٤٠- معجم المؤلفين،رضا عمر كحالة،دار إحياء التراث العربي بيروت،ط١
٤١- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتون، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت ٢٠٠٢.
٤٢- نقد الشعر، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان .

• مجلات وصحف:

١- أنيس الجليس، يناير ١٨٩٩م ، ص ٢٢ .
٢- جريدة "العلم" ، ١٠ محرم سنة ١٣٤٧هـ ، ٢٨ يناير سنة ١٩٢٨م .
٣- عالم الفكر ،مج٣٢ أكتوبرديسمبر٢٠٠٣، ع٢،قراءة في تجربةالشاعر عبدالعزيز المقالح الملامح السرديةفي شعره،محمود جابر عباس.
٤- حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠٠٠، سردية النص الشعري، علي جعفر العلاق.

• رسائل علمية :

١- التعبير عن الذات في شعر أحمد محرم، شريف عادل علي محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠١٤ .
٢- التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم، أمل إسماعيل السيد عتمان، ماجستير، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠ .
٣- الزمن في الرواية العربية (١٩٦٠- ٢٠٠٠) أطروحة دكتوراه، إعداد مها حسن يوسف عوض الله، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢ .
٤- الملاحم في الأدب العربي الحديث في مصر ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم نموذجًا، لبني عبد العزيز محمد عبدالله الهواري، ماجستير،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٧ .
٥- شعر أحمد محرم دراسة دلالية، محمد السيد أحمد سعيد، ماجستير، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧.